

جامعة محمد خيضر بسكرة  
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية  
قسم العلوم الاجتماعية



# مذكرة ماستر

العلوم الانسانية والاجتماعية  
فلسفة  
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

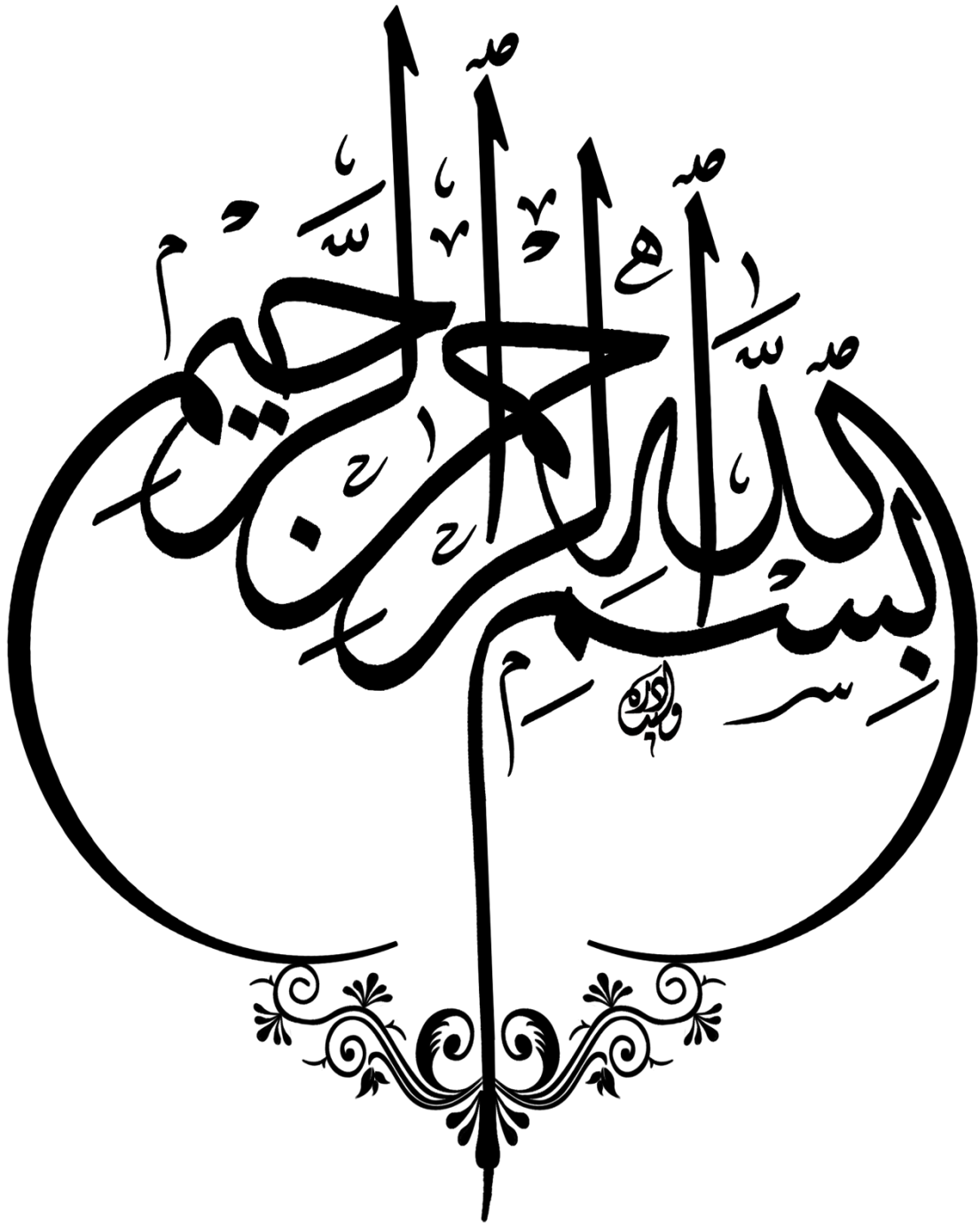
صارة مانع

يوم: 02/07/2019

## فلسفة العقد الاجتماعي في الفلسفة الغربية جون جاك روسو أنموذجا

### لجنة المناقشة:

مقرر	جامعة محمد خيضر_ بسكرة_	أ. مح أ	محمد زيان
مقرر	جامعة محمد خيضر_ بسكرة_	أ. مس أ	حميدات
مناقش	جامعة محمد خيضر_ بسكرة_	أ. مس أ	علي تتيات



# الشكر والعرفان

أشكر الله تعالى علي فضله حيث أتاح لي إيجاز هذا

العمل ، فالحمد له أولا و أخيرا

و إلى الذي تفضل بالإشراف علي هذا البحث الأستاذ "

زيان محمد " فجزاه الله كل خير وله مني كل التقدير

والاحترام.

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

يلعب الإنسان دورا كبيرا في بناء المجتمعات فقد امتازت معظم مراحل حياته بتنوع الإنتاج الفكري، حيث عاش هذا الأخير أول مراحل حياته في الطبيعة مثله مثل الحيوان وحيدا ومشردا يسعى دائما إلي إشباع غرائزه فقط، ثم سرعان ما انتقل إلي فترة أخرى حيث نجده تطور تطورا جزئيا، فلقد قام باستغلال الطبيعة في تسهيل أمور حياته، فسكن الكهوف بعدما كان ينام في العراء، ولبس جلود الحيوانات لتحميه من برد الشتاء وأخذ يغذي نفسه من ثمار الأشجار، هنا نري الإنسان البدائي بدأ يستعمل عقله ليضمن استمراره ، لكن هذه الطرق التي اخترعها مازالت لا تكفيه ،لأن رغم التطور الذي أنتجه الإنسان بنفسه إلا أن حياته كان يسودها الخوف والرعب الدائم إضافة إلي التنقل من مكان ألي مكان آخر، هذا ما جعله يحن إلي الأمن والاستقرار، فوجد ضالته في اجتماعه مع غيره من بني جنسه.

لقد وجد الإنسان في اجتماعه مع غيره الكثير من الفوائد حيث أصبح يحس بالأمن إضافة إلي سهولة في توفير الطعام فقد كانوا يخرجون ليصادوا في جماعة وكان المنتج وفيرا في ذلك، وكان اجتماعهم يحميهم من المخاطر الخارجية، وبالرغم من هذه الايجابيات إلا أن هذه التجمعات امتازت بالفوضى و بالتعقيد الشديد من الناحية الاجتماعية، حيث كان يسعى الإنسان بهذا التجمع أن يعيش حياته السياسية الاجتماعية شاعرا بالحرية ومتمتعا بالعدالة وهذا هو حلم الفلاسفة في أي مجتمع سياسي مثالي، فنجدهم يبنون تصوراتهم السياسية للمجتمع المثالي علي تحليلهم لطبيعة الإنسان، فيرون أن الإنسان حيوان اجتماعي سياسي أي لا يستطيع العيش بمفرده وهو لا يحقق ذاته إلا وسط الناس وبين أفراد المجتمع ولا يستطيع بدونهم تلبية طلباته سواء مادية كانت أو معنوية ، ومن هنا ظهرت عدة نظريات سياسية تبحث في هذا المجال ومن أبرزها نظرية العقد الاجتماعي في الفلسفة السياسية وهذه الأخيرة التي من أولوياتها تبحث في الحالة الاجتماعية التي يعيشها الأفراد وتقوم بتحليل المجتمعات .

وردت فكرة العقد الاجتماعي في كتابات كثيرة من فلاسفة القرن السادس عشر، حيث تجلت فكرة الأساسية للعقد الاجتماعي من أن الناس كانوا يعيشون في البداية علي الطبيعة القائمة علي النزاعات والحروب مما دعا الناس إلي التفكير في إنشاء تنظيمات اجتماعية بحيث تقوم علي تنظيم علاقاتهم الاجتماعية من أجل الدفاع عن أنفسهم من المخاطر الخارجية كالطبيعة أو الأقوام الأخرى، هذا يتم من خلال تنازل كل فرد عن قسم من أنانيته الفردية لكي يلتزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم علي البقاء ومن أجل تحقيق هدف العقد الاجتماعي يجب إتباع قوانين و واجبات تخدم حاجاتهم وحمايتهم، يعني هنا أن العقد الاجتماعي لم يكن بإكراه للأفراد بل كان بشكل طوعي اختاره أفراد المجتمع ليضمن كل أحد حقوقه وحرياته.

تعد مرحلة العقد الاجتماعي هي مرحلة رئيسية في تطور المجتمعات حيث درست علاقة الفرد مع غيره من المجتمع، من ناحية ودرست علاقة الحاكم بالمحكوم من جانب آخر وكان البحث في هذا الجانب هو نتيجة تطور التاريخي لمراحل الإنسان.

ولو جئنا إلي دراسة العقد الاجتماعي كفكرة قبل تبنيتها كنظرية من طرف الفلاسفة لوجدنا أن ظهور هذه الفكرة منذ القديم في فلسفة الإغريق والرواقية ، لكن تبلورت هذه النظرية في عصر التنوير علي يد ثلاث فلاسفة هم توماس هوبز، وجون لوك، وجون جاك روسو ،حيث يعتبر هذا الأخير من أبرز الفلاسفة الذين كان لهم دور فعال في المجال السياسي، أثارت أفكار جون جاك روسو السياسية علي المجتمعات، و لاقت ترحيبا كبيرا في المجتمع الأوروبي خاصة حيث تعتبر نظرياته وأفكاره السياسية انطلاقة لبناء المجتمع الفرنسي الكبير، حيث كان لروسو دور كبير في قيام الثورة الفرنسية وذلك كان عبر خطابه الأول في عام 1749 حين قرأ عن مسابقة تكفلت برعايتها أكاديمية " ديجون " التي كان موضوعها حول مسألة تخص " تطور العلوم والفنون " هنا قام روسو بكتابة مقال غير مجري حياته وقام بكتابه مقال يعرض فيه آراءه حول النظام الاجتماعي القائم الذي كان يشعر بالاستياء منه كثيرا ما بين

طبقة غنية تهتم بالبذخ والمظاهر والتفاخر، وطبقة كبيرة من المجتمع الفرنسي الفقير المعدم. فاز هذا الخطاب بالمسابقة إضافة أنه لاقى الإعجاب الكبير من المجتمع الفرنسي حيث لفت انتباههم إلى النظام السياسي المستبد الذين يعيشون فيه، بعد هذا الخطاب كتب روسو كتاب مشهور أطلق عليه العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية حيث كان هذا الأخير مصدر إلهام لبعض الإصلاحات السياسية أو الثورات في أوروبا وخاصة فرنسا، فبعد سقوط الشرعية الملكية والدينية كأساس للحكم في أوروبا، أصبح من الضروري البحث عن شرعية بديلة يقوم عليها الحكم السياسي وتتحدد علي أساسها مسؤوليات الحاكم والمحكوم والحقوق المترتبة علي كل منهم، وكان الكتاب يلخص كل هذه العناصر في ثناياه، لذلك تعتبر أفكار روسو السياسية هي مرجع أساسي لكل المجتمعات .

ومن أهم أسباب اختياري للموضوع هو اهتمامي بفكر روسو السياسي لما قدمه هذا الأخير من إنجازات عظيمة بقيت متناولة علي مدى التاريخ، إضافة إلي أن فكر الروسي لم يقتصر تأثيره علي العالم الغربي فقط، حيث تم ترجمة كتب الفيلسوف جون جاك روسو إلي اللغة العربية من طرف مفكرين عرب أمثال عادل زعيتر و عبد الله العروي، فلاقت المبادئ السياسية التي درجها روسو في العقد الاجتماعي منها العدالة والحرية والمساواة، رواجاً كبيراً في معظم الدول العربية في حين أن المجتمعات العربية نبذت الاستعمار الخارجي الذي كان يقوم علي العنصرية والاستبداد وكبت حريات المواطنين، ويرى روسو من خلال العقد الاجتماعي أن أعظم ما يكسبه الإنسان بالعقد الاجتماعي هو الحرية الأخلاقية والمدنية، كما يقول روسو "إن ما يفقده الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حريته الطبيعية وحقا لا محدوداً في كل ما يغريه وما يستطيع بلوغه، أما ما يكسبه فهو الحرية المدنية... التي وحدها تجعل الإنسان سيد نفسه حقيقة إذ أن نزوة الشهوة وحدها عبودية، وطاعة القانون الذي نسنه لأنفسنا حرية.."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> \_روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي، تر عمار الجلاصي وعلي الأجنف، دار المعرفة للنشر، ط2، تونس 2004، ص11

وكمحاولة لفهم نظرية العقد الاجتماعي نظرح الإشكالية التالية: ما هو مفهوم روسو لنظرية

العقد الاجتماعي؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية منها: ما هي المرجعية الفكرية والتاريخية لهذه النظرية؟ وكيف كان تأثير روسو على الفلاسفة والمفكرين الغرب والعرب؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث إلي ثلاث فصول وكل فصل يتضمن مباحث ففي الفصل الأول تناولنا التأسيس التاريخي والفكري لنظرية العقد الاجتماعي، معني هذا أن نظرية العقد الاجتماعي قبل أن تصبح نظرية، كان لها إرهاصات أولي علي يد فلاسفة قبل رواد العقد الاجتماعي، أخذت ثلاثة نماذج في المبحث الأول هم آراء المدرسة السفطائية وما كان لهم من تأثير علي المجتمع اليوناني آنذاك، والنموذج الثاني هو الفيلسوف أفلاطون الذي كان تلميذ سقراط، الذي نشأ في بيئة أرستقراطية غرست في نفسه ميلا إلي ممارسة السياسية و المساهمة في شؤون الحكم، ثم بعد ذلك تناولت فلسفة أرسطو التي كانت ختام للمبحث الأول في الفصل الأول، وحيث أشار هذا الأخير للدولة أهمية في فلسفته فهو يري أن الدولة هي التي تعطي قيمة للفرد ووجوده الحقيقي، وأن الطبيعة البشرية هي التي تدفع الناس إلي الاجتماع السياسي، وأعطى السبب الرئيسي لنشأة الدولة هو الأسرة علي غرار أستاذه أفلاطون الذي أرجع نشأة الدول إلي إشباع رغبات الأفراد.

بعد ذلك انتقلت إلي إبراز فكرة العقد الاجتماعي من منظور آخر في العصر الوسيط وأخذت من الأطروحات إسلامية نموذجين هما: أبو نصر الفرابي والمفكر الماوردي، حيث يري الأول أن الإنسان هو حيوان مدني وهو يميل بطبه إلي اجتماعه بغيره من بني جنسه بينما ساهم الثاني بعلمه في تطوير الأفكار السياسية جديدة لمفهوم الدولة، ثم انتقلنا إلي عرض أفكار نظرية العقد الاجتماعي في العصر الحديث، بعدما صارت نظرية لها قواعد وأسس عند أهم منظري العقد الاجتماعي والحقوق الطبيعية منهم (توماس هوبز و جون لوك). حيث حاول كل منهم حل مسألة السلطة السياسية بشكل مختلف، حيث استعان فلاسفة العقد الاجتماعي



بفرضية التي ترى أن الإنسان كان يعيش في حالة طبيعية فطرية ورغبة البشر في إقامة مجتمع منظم لذلك وجب عليهم الانتقال من حالة إلي أخرى.

أما في الفصل الثاني فقد تناولنا الفكر السياسي عند جون جاك روسو وكما محاولة لتوضيح فكره السياسي قمنا بعرض الأوضاع السياسية لثورة الفرنسية 1789، التي كانت سائدة آنذاك، حيث كان الشعب يعيش مأساة كبيرة في ظل الحكم الاستبدادي، وهذا ما جعل جون جاك روسو يتفاعل ويكتب مقال يعبر فيه عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيش فيه الأمة الفرنسية، حث حاز هذا المقال علي إعجاب واهتمام الكثير من أفراد المجتمع الفرنسي في كل الطبقات.

ثم انتقلنا إلي موضوع البناء السياسي لروسو وأرائه في العقد الاجتماعي، حيث يركز روسو في بناء فلسفته في العقد الاجتماعي علي أطروحة الحالة الطبيعية السابقة لظهور المجتمع وكيف كان الإنسان يتمتع بكل الحقوق مطلقة قبل أن ينتقل إلي الحياة الاجتماعية التي وصفها روسو بالحالة الصناعية ، يري روسو أن السبب في الانتقال من حالة الفطرية إلي الاجتماعية هو رغبة الإنسان في تكوين مجتمع منظم يقوم علي مبادئ أساسية منها الحرية والمساواة ،حيث يري أن لكي يتحقق هذا المجتمع يجب أن يعقد أفراد الشعب بينهم ،فالواحد يتحد مع الكل، أي أن الإرادة الفردية العامة تذوب في الإرادة العامة صاحبة السيادة والسلطة وتضع نفسها تحت سلطانها، وبعد ذلك أشار روسو في نظريته ، أنه مهما اختلفت أشكال الحكم فإن السيادة تبقى للشعب علي الدوام، وهو بذلك ينادي إلي نمط حكم معين ،وأضفنا في الجزء الأخير من الفصل الثاني علاقة الدولة بدين روسو. حيث يجرّد روسو الدين من كافة المضامين التي لا تتلاءم لتصوره للدولة لإحالاته إلي مجرد قواعد أو فضائل سلوكية عامة في الدين المدني.

أما في الفصل الثالث فتناولنا الفلسفة الإنسانية عند جون جاك روسو وأخذنا نعرض تأثير روسو في الجوانب التربوية وكنموذجين ،جون دوى و جان بياجيه الذات متأثرا بالجانب

التربوي لروسو وتربية الطفل الناشئ تربية خلقية حسنة ، ثم قمنا في المبحث الثاني في الفصل الثالث عرض المفكرين العرب المتأثرين بأفكار روسو السياسية من أمثال فرح أنطون الذي نلاحظ في كل كتاباته أنه يقتبس من أفكار روسو السياسية والفكرية ، أما المتأثر الثاني فتناولت المفكر والمترجم عبد الله العروي الذي ترجم العديد من الكتب و أبرزها عقيدة في الجبل سافوا والتي منح للكتاب عنوان آخر هو الدين فطرة .حيث كان لعبد الله العروي غرض من ترجمته لهذا الكتاب.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة علي المنهج التحليلي النقدي مستعينين في ذلك علي مجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث ولعل من أبرزها المصادر "العقد الاجتماعي لروسو" وكذلك "أصل التفاوت بين البشر" والمراجع أمثال حسن الهيكل في كتابه "جون جاك روسو حياته كتبه "و " والاستعانة بالدراسات السابقة التي اهتمت بالعقد الاجتماعي عند جون جاك روسو مثل رسالة الدكتوراه بعنوان الفكر السياسي في العصر الوسيط من إعداد الطالب والباحث ياسين شبايبي، ورسالة دكتوراه أخري بعنوان الثقافة ومشكلة الطبيعة الإنسانية في فلسفة جون جاك روسو و سيغmond فرويد نموذجان من إعداد الطالبة بوضرار نجمة .

ومما لا شك أن لكل بحث علمي تعثره مجموعة من الصعوبات تواجه الباحث وعند أول خطوة كثرة الترجمات والقراءات لأعمال جون جاك روسو واختلافها، إضافة إلي افتقار مكاتبنا إلي كتب في دراسات معاصرة في هذه النظرية و التي نستطيع من خلالها أن نثري هذا الموضوع أكثر، و وجدت الصعوبة أيضا في تحديد دقة المعاني السياسية والتربوية التي تتطلب دراسة معمقة لتحديدها.

**الفصل الأول : المرجعية الفكرية والتاريخية لنظرية العقد الاجتماعي**

**المبحث الأول : التأصيل التاريخي لفكرة العقد الاجتماعي عند اليونان**

**1 : الفلسفة السياسية عند المدرسة السفسطائية**

**2 : فلسفة السياسة عند أفلاطون**

**3 : الفلسفة السياسة عند أرسطو**

**المبحث الثاني : فلسفة العقد الاجتماعي في الأطروحات الإسلامية**

**1 : الفلسفة السياسية عند الفرابي**

**2 : الفلسفة السياسية عند ماوردي**

**المبحث الأول : رواد العقد الاجتماعي**

**1: توماس هوبز**

**2 : جون لوك**



المبحث الأول: التأصيل التاريخي لفكرة العقد الاجتماعي عند اليونان

المطلب الأول: الأوضاع السياسية في المدرسة السفسطائية

" بعد حضارة اليونان القديمة جاءت حضارة اليونان بمعناها الحقيقي والمتمثل في "المدينة" التي كانت أثينا أبرز مدنه، لأن هذه الأخيرة التي أثمرت أصول الفلسفة السياسية الكلاسيكية. والتي تمثل فيها مراحل التطور الاجتماعي والسياسي المختلفة، فانقلت من مجتمع بدائي إلى مجتمع قبلي الذي تحولت فيه الملكية الجماعية للأرض إلى ملكية الخاصة تركزت في أيدي رؤساء الأسر الأرستقراطية الكبيرة وتحول العدد الكبير من السكان لي رقيق ومكبلين بالديون وقد عرف هذا النظام الحكم في اليونان باسم حكم النبلاء ومنهم الكهنة والقضاة وقادة الجيش " <sup>1</sup> معنى هذا أن حضارة اليونان التي ضاع صيتها في شتى الفنون علي مر العصور كانت تعيش حياة بدائية شأنها شأن كل الحضارة السابقة عليها، حتى انتقلت هذه الحضارة من مجتمع بدائي إلى مجتمع سياسي وحضاري أكثر، فنتج عن ذلك نظام جديد سمي "بالنظام الأرستقراطي" الذي كان أساسه في اليونان هو حكم الطبقة الغنية " النبلاء" والكهنة أصحاب الكنيسة وقادة الجيش الذين يتولون الحماية عن المدينة، أما بقية سكان أثينا فقد أصبحوا رقيق وعبيد مثقلين بالديون التي كانت تفرضها الأسر الأرستقراطية عليهم.

" وعندما هدد الفرس أثينا تصدت لهم بحريبتها فقهرتهم وحقت النصر العظيم، وبهذا الانتصار توطدت أركان حكم الديمقراطية التي فرضت قوة الطبقات الجديدة في المجتمع، وهي طبقة التجار والملاحين وأصحاب الصناعات، وفي هذه البيئة السياسية ظهرت أيضا طائفة السفسطائيين التي تصدت لتغيير نظم المجتمع وتجديد الفكر في كل المجالات الحياة وتحدت مشكلة الفلسفة عندهم في ذلك الجدل الذي دار حول التعارض بين الموجود بالطبيعة والموجود

<sup>1</sup> \_توشار، جون، التاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، تر ناجي الدروشة، ط 1، 2010، ص 28.

بالعرف أو بالاتفاق"<sup>1</sup> معنى هذا إن طائفة السفستائيين هم كانوا رافضون للأنظمة الارستقراطية ونظام الطبقي مما جعلهم يناقشون ويعرضون قضايا تدافع عن سكان أثينا.

" لقد طرح السفستائيون مسألة العدالة ومشكلة الرق، حيث أن العديد من السفستائيون دافعوا عن حق الرقيق في الحرية، وذهب الخطيب " القيداماس " إلي القول بأن الله والطبيعة قد خلقا كل الناس أحرارا و لم ينص علي عبودية أحد و توصل السفستائي "أنطيفون" في القرن الرابع ق.م إلي رفع العنصرية و نادي بالمساواة عندما أعلن أن الطبيعة لم تفرق بين الإغريق والبرابرة."<sup>2</sup> هذا يؤكد أن السفستائيون حاولوا أن يناقشوا النظام السياسي الذي كان سائدا في أثينا وعبروا عن رفضهم لكل الظلم والاستبداد الذي كان يعيشون فيه الشعب اليوناني. لأنهم يرون أن الإنسان ولد حرا وليس مقيدا.

" لقد دعا السفستائيون إلي إسقاط الفوارق الطبقية بين السادة والعبيد، بين النبلاء وعامة الشعب بين الأغنياء والفقراء ومن ثم فمن الممكن تلمس الأسس الفلسفية لميلاد مفهوم "حقوق الإنسان" في الفكر اليوناني القديم بدءا من السفستائيون خاصة في فكرة القانون الطبيعي لديهم ودعوتهم للعودة إلي الحياة الطبيعية، وإلي ما تنص عليه من حرية ومساواة بين كل الأجناس ونبذ كل ما يتعارض عن ذلك."<sup>3</sup> هذا يعني أن الطبيعة جعلت البشر كلهم سواسية، لذلك دعا السفستائيون إلي العودة للحياة البدائية الأولى لأنهم رفضوا الفوارق الطبقية التي كانت في السياسة اليونانية.

" لقد كان لظهور السفستائيون ضرورات كثيرة منها حاجة الناس إلي امتلاك المعرفة التي تأهلهم للنجاح فيما يتطلعون إليه من عمل سياسي كان من أهم المبادئ السياسية السفستائية أنهم جعلوا الفرد نقطة البداية في فلسفتهم السياسية ولو ترتب علي هذه النظرة أن

<sup>1</sup> \_ حلمي مطر، أميرة، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، كلية الآداب للنشر، ط5، القاهرة، 1995، ص 11.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 12.

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه، ص 18.

الدولة كلها عندهم تقوم علي تعاقد الأفراد واتفاقهم.<sup>1</sup> المقصود هنا السفستائيون كانوا بارعين في قضايا العلم والفلسفة وخاصة الخطابة، وكان الشيء الوحيد الذي ساعد السفستائيون في التعبير عن آرائهم السياسية، هو أوضاع أثينا التي فتحت أبواب للحوار والنقاش بحيث أن السفستائيون اكتسبوا القدرة علي التعبير عن كل آرائهم السياسية وحاولوا التغيير فيها أيضا.

"ومن خلال هذه المناقشات وفي خضم هذا الجدل الذي احتدم في القرن الخامس قبل الميلاد تكونت فلسفة سقراط التي كانت بمثابة استجابة عكسية لفلسفتهم."<sup>2</sup> حيث لعبت أفكاره دورا هاما في تغيير المجتمع الأثيني ومعتقداته، وحرك المياه الراكدة وإحداث ثورة فكرية تنويرية من خلال آرائه الفلسفية حيث أنه حاور الناس في طرقات والشوارع، واستخدم منهج التهكم والتوليد وحاور السفستائيون وأظهر جهلهم ودعا إلى الفضيلة والمعرفة كما أرسى قيم الخالدة، ومات في سبيل مبادئه وأطلق عليه احكم الناس في عصره، وترك من ورائه تلاميذه الذين أكملوا سيرته. ومن أبرزهم تلميذه أفلاطون.

" وجاء أفلاطون وسار علي نهج أستاذه سقراط الذي مهد له الطريق وأعلن رفضه لمجمل الآراء السفستائية وعمل علي دحضها وإثبات بطلانها و استطاع أن يتمثل بفكره كل هذه الاتجاهات والتي ترجع جذورها إلى القرن الخامس ذلك القرن الذي بلغت فيه \*الديمقراطية أوجها، لكن ما كاد القرن يشرف علي النهاية حتى كانت الكوارث قد توالى عليها، فقد ساد في عصر أفلاطون بالاضطرابات السياسية والحروب الأهلية بين مدينة أثينا وإسبارطة الأمر الذي أسرع بالقضاء علي الحضارة اليونانية "<sup>3</sup> معنى هذا أن أفلاطون عاش فترة حساسة لتغيير النظام في أثينا مما جعله يطرح عدة قضايا ومشكلات تحدد نظام جديد يسير وفق قوانين.

<sup>1</sup> \_ زهير عمران، عدنان ملحم ، تطور الفكر السياسي عند قدامي اليونانيين حتى أفلاطون، ضمن مجلة تشرين، العدد 2014، 5، ص 162.

<sup>2</sup> \_ زهير عمران، عدنان ملحم، تطور الفكر السياسي عند قدامي اليونانيين حتى أفلاطون، مرجع سبق ذكره، ص 13.

\* الديمقراطية هي لفظ يوناني نُوِّف من لفظين يونانيين أحدهما (ديموس) ومعناه الشعب، والآخر (كراتوس) ومعناه السيادة، فمعني الديمقراطية إذن سيادة الشعب وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين لا الفرد والطبقة واحدة منهم ولهذا النظام ثلاث أركان: 1\_ سيادة الشعب، 2\_ المساواة والعدل، 3\_ الحرية الفردية. جميل صليبا.

<sup>3</sup> \_ حلمي مطر، أميرة، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، مرجع سبق ذكره ص 13 .

المطلب الثاني : أفلاطون: (plato 428\_ 348 ق.م )

إن النظر إلى تطور المجتمعات لا ينفك عن تطور الدولة، وذلك يعني أن المجتمع هو الركيزة الأساسية التي تبني عليها أسس الدولة وأن أهم مصدرين لهذا التطور في الدولة هما: كتاب الجمهورية "أفلاطون" وكتاب "السياسة" لأرسطو اللذان يوضحان أبعاد ذلك التطور الذي شمل المجتمع والدولة خاصة.

أ: نشأة الدولة عند أفلاطون

يفسر أفلاطون نشأة المجتمع أو المدينة علي أنها ظاهرة طبيعية نشأت من خلال تعدد حاجات الفرد إضافة إلى عجزه عن قضاء هذه الحاجات بمفرده، وذلك بسبب الفطرة الموجودة في الإنسان التي تدفعه إلى التماس مساعدة الغير في إشباع هذه الحاجات مثل اللباس والغذاء والأمن، فلا يوجد إنسان يستطيع تأمين كل هذه الأغراض وحده فيري أفلاطون في ذلك " إن الدول تنشأ لعدم استطاعة الفرد سد حاجاته بنفسه وافتقاره إلى معونة الآخرين ولما كان كل إنسان محتاجا إلى معونة الغير في سد حاجاته وكان لكل منا احتياجات كثيرة، لزم أن يتألف العديد منا من صحب ومساعدين، في مستقر واحد فنطلق علي ذلك المجتمع اسم المدينة أو دولة"<sup>1</sup> حيث يقر أفلاطون إن فكرة الدولة جاءت من فكرة أخري مفادها أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده بل هو بحاجة إلى غيره ليكمل النقص الموجود عنده ويحقق له مجموعة من المنافع لا تتحقق إلى ضمن جماعة ومن ذلك كان الاجتماع ضرورة عند أفلاطون .

تبادل الخدمات عند أفلاطون يتضمن مبدأ تقسيم العمل وتوزيع المهام علي الأفراد المجتمع هذه العملة تكون لإتمام نقص الموجود لدي فرد بمساعدة الآخر. فيقول أفلاطون "ينبغي أن نخلص من ذلك إلي أن كل الأشياء تكون أوفر مقدارا وأجود نوعا ، وأسهل إنتاجا، إذ التزم العامل بما يميل إليه طبعه من الأعمال وأتمه في وقته الخاص، غير متشاغل عنه فيما

<sup>1</sup>\_ زروخي ، إسماعيل ، دراسات في الفلسفة السياسية ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، د.ط، 2011 ، القاهرة ، ص.29.



سواه<sup>1</sup> معنى هذا أن الضرورة الأعمال تختلف باختلاف المواهب والاستعدادات حيث يختلف الفرد عن الآخر باستعداداته وقدراته ، فمثلا فرد يمتاز بالشجاعة وذلك يمتاز بالذكاء أما الآخر فيتميز عنهم بالمهارة في العمل، تبنى أفلاطون مبدأ تقسيم العمل وذلك لتفاوت قدرات ومواهب البشر وان إنتاج الفرد يكون أكثر جودة حين يعمل عملا يتفق مع استعداده الطبيعي .

#### ب : تقسيم العمل عند أفلاطون

" يجب أن تؤسس الدولة علي الفكر والتعقل، وأن تكون القوانين صادرا وناشئة عن فكر وتعقل، ومثل هذه القوانين لا يمكن إلا أن تصدر عن عقلاء مفكرين، وبعبارة أخرى "فلاسفة" فحكام الأمة يجب أن يكونوا فلاسفة، ويجب أن يكون أول عنصر في الدولة العقل ثم القوة ثم العمل، وكل عنصر من هذه العناصر تمثله طائفة من الأمة، فالعقل في طبقة الحكام، والقوة في طبقة الشرطة والجنود والمحاربين ونحوهم، وقد احتجنا إليهم في الدولة لأن بعض العامة لا يخضعون للقوانين التي يصدرها العقلاء طوعا والعمل في طبقة العمال." <sup>2</sup> يري أفلاطون أن أهم طبقة تحكم الدولة هي طبقة الحكام وهم مجموعة مختارة موهوبة يتم إعدادهم بعناية ليقوموا بمهمة الحكم وهم وحدهم القادرين علي تحديد الوسائل التي تمكن الدولة من أن تصبح فاضلة، أما الطبقة الثانية فهي تخص الجنود لحماية الدولة داخليا وخارجا، و الطبقة الأخيرة عليها تنفيذ الأوامر والقوانين و هي طبقة أصحاب الحرف (الصناع، الجار، المزارعين).

فالمجتمع الأفلاطوني هو مجتمع يقوم علي التمييز حيث يؤكد أفلاطون علي أن الطبيعة هي نفسها من فرضت هذا التمايز، حيث يلجأ أفلاطون إلي استخدام الأسطورة لكي يقتنع بها أفراد المجتمع فيقول " أن هناك أسطورة قديمة تقول أن الناس جميعا قد ولدوا من الأرض وهي أهم وعليهم حمايتها والدفاع عنها، ولكن الإله الذي خلقهم منها خلط معدن بعضهم بالذهب ليهبهم الحكم فهؤلاء أثنى الجميع، بينما خلط البعض الآخر من الفضة وأعددهم للحراسة والخرب

<sup>1</sup> أفلاطون، الجمهورية، تر، فواد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1 ، 1980، مصر ، ص 68.

<sup>2</sup> حلمي مطر، أميرة ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ،دار قباء للنشر والتوزيع، د ط، 1998 القاهرة، ص 19.

بينما الباقي منهم فقد أعدمهم للزراعة والصناعة وقد خلط طبيعتهم من النحاس والفضة.<sup>1</sup> هنا أفلاطون يميز بين كل الطبقات ويحاول إقناعهم بذلك التقسيم مستعينا بالأسطورة.

### ج : مسألة العدالة عند أفلاطون

لقد اهتم أفلاطون كثيرا بفكرة العدالة، حيث يرفض أن يكون مفهوم العدالة محصورا في فكرة القوة والتملك، أو اعتبار العدالة علي أنها مصلحة الأقوى حيث يقول " أن العدالة هي ليست القوي المجردة وهي ليست حق القوي، وإنما هي تعاون كل أجزاء المجتمع تعاوننا متوازيا فيه الخير للكل "<sup>2</sup> يعني هذا أن العدالة عند أفلاطون هي ليس لي طبقة الأقوياء وظلم الضعفاء بل هي علاقة متوازية بين طبقات المجتمع، وهي فضيلة تهدف إلى تحقيق الاتحاد والتعاون بين الأفراد لبناء دولة صالحة.

حيث يعرف أفلاطون العدالة في موضع آخر فيقول " أنها قيام كل فرد بوظيفته على الوجه الأكمل في الوقت الذي تحافظ له الدولة علي هذه الوظيفة بحسب المواهب والمؤهلات الطبيعية الكامنة فيه "<sup>3</sup> هنا يفسر أفلاطون في أن الدولة هي التي تحافظ على المؤهلات الطبيعية التي قصد بها الذكاء والاستطاعة والقدرة التي تكمن في أداء الوظيفة سواء كانت نفسية ولا جسمية.

وقد قسم أفلاطون العدالة إلى نوعين: العدالة في الدولة والعدالة في الفرد، فالعدالة الأولى هي التي تقوم علي الدولة المثالية، وبالتالي يحكمها مبدأ التقسيم والتخصص الوظيفي فالعدالة ببساطة هي " أن تؤدي كل طائفة من طوائف الدولة أداء كاملا لتلك الوظيفة إلي هيئتها لها الطبيعة كما يهيئ لها الوضع الذي أكسبها إياها هذه القدرات في المجتمع "<sup>4</sup> ويؤكد أفلاطون

<sup>1</sup> \_ أفلاطون ، الجمهورية، تر، حلمي مطر أميرة ، مطابع الهيئة المصرية للنشر ، د.ط، 1994، القاهرة، ص 25.

<sup>2</sup> \_ الميناوي، أحمد، جمهورية أفلاطون ، دار الكتاب العربي ، ط1، 2010، دمشق ، ص 31.

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه، ص 268.

<sup>4</sup> \_ صقر احمد، مصطفي، فلسفة العدالة عند الإغريق ، مكتبة الجلال الجديد ، 1989، القاهرة ، ص 76.

أنه لا يجب التعدي علي وظائف الغير والخطأ بين الطبقات الثلاث يؤدي بالدولة إلي أكبر العواقب. أما إذا التزم كل فرد بعمل الموجه إليه من خلال طبقته فهنا يكون العدل.

أما العدالة في الثانية: فهي العدالة في الفرد، فيقول أفلاطون في ذلك " إن أعظم أسباب كمال الدولة هو تلك الفضيلة التي تجعل كل من الأطفال والنساء والعبيد والمحكومين أن يؤدي عمله دون أن يتدخل في عمل غيره <sup>1</sup> هنا حسب أفلاطون أن العدالة تكون نتيجة علاقة انسجام وتكامل بين قوى النفس، وهي لا تتعلق فقط بأفعال الإنسان الظاهرة بل يتدخل في ذلك أعماله الباطنية أيضا. فالشخص العادل لا يسمح لأي جزء منه أن يفعل شيء خارج طبيعته، ولا يقبل أن يتعدي العنصرين الآخرين من الطبقات مهما كان نوع الطبقة سواء كانت الطبقة العليا أو الوسطى أو الدنيا.

"وينتهي أفلاطون إلي قول بأن مبدأ "تقسيم العمل" في الدولة هو أساس بناء دولة عادلة هذا من جهة ثم إن إخلاص النفس مشروط بعدم مبالغة احدي القوي وطغيانها علي القوي الأخرى وكذلك في التعاون الوثيق لتحقيق صحة النفس وذلك هو مفهوم العدالة وطبيعتها، وأما نقيض العدالة فهو طغيان احدي القوي الأخرى، وبهذا تكون العدالة في الدولة هي حفظ التناسب و التوافق والتوازن بين الطبقات الثلاث وفصل مهام الطبقات مع التركيز علي ابتعاد الطبقات الدنيا علي السلطة." <sup>2</sup> يؤكد أفلاطون علي تقسيم العمل ويرى بأنه الركيزة التي تقوم عليها الدولة يعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

د: أنظمة الحكم عند أفلاطون

<sup>1</sup> \_النشار، مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للنشر والتوزيع، د.ط ، 2000القااهرة ، ص 76 .

<sup>2</sup> \_ حلمي مطر، أميرة، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها، مرجع سبق ذكره ، ص197.

"تلهف أفلاطون في شبابه لانشغال بالشؤون العامة، ومن أجل هذا بدأ بالبحث في الشؤون السياسية الشاملة في عصره، فوجد أن جميع أنظمة الحكم الموجودة في عهده وبدون استثناء أنظمة فاسدة فداستها كلها مستعصية عن الإصلاح. فشرع أفلاطون بالاشتمزاز عميق مما دفعه إلى البحث عن حل لمعالجة هذه الحالة وطبعاً ليس بالرجوع إلى الأنظمة السابقة وإنما بترك الحكم لمن هم أهل له."<sup>1</sup> المقصود هنا أن أفلاطون يعبر عن رفضه لنظام القديم الاستبدادي، ويرى هو السبب في تدهور الحكومات لتصبح أقل جودة. والحل في رأي أفلاطون بأن هذا النظام أنه يجب أن يتغير إلى ما هو أحسن وذلك بترك الحكم للفلاسفة. وانتهى أفلاطون بالقول بضرورة التوحيد بين وظيفة المعرفة وبين وظيفة الحكم السياسي وقد عبر عن ذلك "ما لم يتولى الفلاسفة الحكم في الدول أو يتحول من نسميهم من حكاما إلي فلاسفة حقيقيين، وما لم نرى القدرة السياسية تتحد بالفلسفة وما لم تسن قوانين دقيقة، تبعد من لم يجمعوا بين هاتين القوتين فلن تنتهي لشُرور من الدول بل من الجنس البشري"<sup>2</sup> يحظ الفيلسوف أفلاطون علي قيمة حكم الفلاسفة والحكام في السياسية لأنهم يري بأنهم الأجدر في كل البشر، و إذ لم يحكموا ستكون هماك عواقب للجنس البشري أجمع.

"ركز أفلاطون في قيام تنشئة الدولة بشكل أفضل على أمرين هامين للدولة العادلة وهما: الأول تقسيم المجتمع إلى طبقات بحيث تختص كل طبقة بعمل معين لا تتعداه، والثاني تسليم السلطة للفلاسفة والعمل على تنشئة الحكام تنشئة فلسفية، ولتحقيق هذا وضع أفلاطون النظام التربوي."<sup>3</sup> يري أفلاطون أن من أساسيات قيام وتنشئة الدولة الحقيقية يجب أتباع الفلاسفة في حكمهم وتقسيم العمل بين كل الناس بحيث كل فرد ينال حقه بجدارة.

م: النظام التربوي عند أفلاطون

<sup>1</sup> \_ حلمي مطر ، أميرة، الفلسفة السياسية \_ من أفلاطون لي ماركس، مرجع سبق ذكره ، ص 14.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه ص15.

<sup>3</sup> \_ فضل الله، محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر الغربي، بستان المعرفة للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية ، ص 12.

" يطبق علي جميع الأطفال ومن كل الطبقات من الصغر دون التمييز بين الذكور والإناث، بعد أن يفصلوا منذ الولادة و يقدموا إلى الدولة التي تقوم بتربيتهم بحسب استعداداتهم وقدراتهم، وفي سن العشرين يجتازوا امتحان فإن رسبوا يصبحون من طبقة العمال والذين اجتازوا الامتحان تضاف إليهم مواد أخرى للدراسة مثل الرياضيات وبعد خمس سنوات تقام لهم امتحان آخر فمن رسب أصبح من طبقة الجنود لدفاع عن الدولة، ومن نجح تعطى لهم المواد الفلسفية للدراسة كدراسة المثل أو الصور وذلك يكون في مدة خمس سنوات. فتكمل معرفتهم النظرية.<sup>1</sup> معنى هذا أن أفلاطون يركز علي النظام التربوي لأنه ينشئ الفرد في الدولة أحسن تنشئة بحيث لا توجد بين صفوف الأطفال الطبقية أو العنصرية بل كل شخص يذهب إلى الطبقة التي ينتمي إليها حسب قدراته ومهاراته العقلية.

" إن النظام التربوي يستلزم بالضرورة إلغاء نظام الملكية ونظام الأسرة من طبقت الجنود والحكام لأن السماح بنظام الأسرة مثلا يفسح المجال للتربية الناشئ تربية غير موحدة، مما يؤدي إلى الانحراف عن خط العدالة الذي يقضي بإعطاء الأطفال برامج ومواد موحدة تساعدهم علي بلورة استعداداتهم بصورة متكافئة."<sup>2</sup>يري أفلاطون أن يجب إتباع قواعد في النظام التربوي لبناء مدينة متكافئة، وأول قاعدة في هذا النظام هو إلغاء نظام الملكية ونظام الأسرة، وذلك هدفه في رأي أفلاطون هو تربية الأطفال تربية موحدة في ظل المساواة وذلك تفاديا للانحراف عن العدالة.

يلخص أفلاطون رأيه في الدولة المثالية بقوله "لقد اتفقنا علي أن الدولة التي تطمح أن تحكم حكما مثاليا يجب أن تجعل النساء والأطفال مشاعا وينبغي أن يتلقى الرجال والنساء فيها نفس التعليم في جميع مراحلها ويتقاسموا كل المهام والمناصب سواء منها الحربية أو السلمية، كما ينبغي أن نتخذ ملوكا من أولئك المواطنين الذين يثبتون امتيازهم في الفلسفة والحرب معا."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ فضل الله، محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر الغربي، المرجع سبق ذكره ، ص 14.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 14، ص 15.

<sup>3</sup> \_ حلمي مطر، أميرة، ، الفلسفة السياسية من أفلاطون الي ماركس ، ،مرجع سبق ذكره ، ص 18.

يري أفلاطون أن الدولة المثالية التي يكون حكمها مثاليا، بحيث أنها لا تميز بين أفراد البشر أشار إلي كل فئات وأجناس المجتمع مثل النساء والرجال، حيث حث علي أن النساء أيضا يجب أن تتلقي التعليم مثلها مثل الرجال، كما حث علي أن يجب أن يتخذ ملوكا من المواطنين الذين يثبتون جدارتهم في كل من الأمور العلمية خاصة الفلسفة والأمور الحربية.

المطلب الثالث: أرسطو (aristo): (384 ق.م \_ 322 ق.م )

أ: نشأة الدولة عند أرسطو

بالرغم من أن أرسطو كان تلميذ أفلاطون النجيب إلى أنه اختلف معه في أسباب نشأة الدول حيث أرجعها أفلاطون إلي حاجة الأفراد إلي إشباع رغبات مادية من خلال التجمع مع بعضهم البعض ليشكلوا دولة وهي وحدة مثالية مجردة، ليس للأفراد فيها وجود مستقل. " أما أرسطو فأرجع نشأة الدولة إلى الأسرة التي تمثل الوحدة الاجتماعية الأولى وبالاعتماد على التطور التاريخي بدءا من كون الإنسان كائن اجتماعي يجتمع مع المرأة وينتج النسل الذي يكون الأسرة ومنها العائلة ثم العشيرة والقبيلة فتكبر وتشكل دولة.<sup>1</sup> يري أرسطو أن نشأة الدولة لا تكون بحاجة إلى إشباع الرغبات كما ذهب أستاذه أفلاطون، بل أعطي سبب آخر لقيامها وهو الأسرة، حيث هذه الأخيرة حسب أرسطو تمثل أول نقطة بدأت بها البشرية. وحاول تفسير فكرته بأن الإنسان في الحالة البدائية يتبع غريزته، فيجتمع بأنثى ويكونوا عائلة ثم تلك العائلة تكبر لتصبح قبيلة أي عدد من البشر يعيشون في منطقة واحدة ويتشاركون مع بعضهم، ثم بعد ذلك تكبر وتتوسع تلك القبيلة لتصبح دولة.

"فالطبيعة في رأي أرسطو خلقت الذكر والأنثى وجعلت في الذكر ميلا غريزيا لاجتماع الأنثى من أجل التناسل وحفظ النوع وتكوين الأسرة، فهذه الأخيرة هي الوحدة الأولى لتكون دولة، والدولة عند أرسطو لا تعدوا أن تكون كائنا عضويا من صنع الطبيعة يكتشفه الإنسان بالعقل، بل إنها العنصر الأول الذي تفرضه الطبيعة لأن الكل يسبق الجزء، وما المجتمعات

<sup>1</sup> \_ أرسطو، السياسية، تر: الأب أوغسطين بربارة البوليسي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ط2، 1969، بيروت، ص 91.

الجزئية مثل الأسر والقبائل وكذلك الأفراد التي تحتويها الدولة إلا أعضاء في ذلك العام يخضعون له ولا تستطيع هذه الأجزاء كفاية نفسها بنفسها مثلهم مثل الجسد الواحد.<sup>1</sup> معنى هذا أن أرسطو يعتبر الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى وأن الطبيعة هي تدعوا بالضرورة إلي اجتماع كائنين اثنين لا يستطيع أحدهما التخلي عن الآخر وهما الرجل والمرأة ومن تألفهما تتكون أسرة وهي بدورها تتجمع لتصبح قرية و ثم قبيلة و ثم دولة.

حيث أنه يعتبر أن حياة الجماعة تعتبر طبيعية وضرورية للفرد، وأن هناك غريزة اجتماعية لدي الأفراد بحب التجمع، وفي ذلك يقول أرسطو " الطبيعة إذا تدفع الناس بصفة غريزية إلي اجتماع السياسي، وهذا الاجتماع لابد وان يقوم علي القانون وتحقيق العدالة، فليس أقبح من أن يعيش الأفراد دون قوانين ودون عدالة، لأن القانون هو قاعدة الاجتماع السياسي، والعدالة ضرورة اجتماعية"<sup>2</sup> معنى هذا يمكننا أن نستنتج أن الدولة في نظر أرسطو هي تسلسل طبيعي بدأ من الأسرة ثم القرية ثم الدولة، وهذه الأخيرة ليست تجمعات من الأفراد في مكان واحد فقط بل هي وحدة متماسكة ومترابطة فيما بينها تعمل من أجل تحقيق فضيلتها وتسعي لتحقيق سعادة الجماعة ككل وهذا ما يضمن دوامها و استقرارها .

" يتفق أرسطو مع أفلاطون من حيث هدف الدولة هو التربية الأخلاقية للصغار وتعليم الفضيلة وإشاعة العلم وتوفير حياة كريمة وجيدة للمواطنين، وذلك من خلال العدل في المجتمع ويكون ذلك في حالة السلم. أما حالات العدوان والحروب والاحتلال لقيام الدول استتكرها واستهجنها ولكنه أباح ذلك لليونانيين الذين كان يعتبرهم هم الوحيدون الأسياد الذين لهم الحق في السيطرة والتملك أما البقية فهم عبيد لا يحق لهم شيء كالدواب لا عقل لهم وإن تحل البعض منهم بصفات حميدة فيكون مصدر ذلك روح أسيادهم."<sup>3</sup> نلاحظ هنا عنصر أتفق فيه الأستاذ وتلميذه حيث يرون أن كلاهما أن الهدف الأساسي للدولة هو التربية الأطفال منذ

<sup>1</sup> \_ فضل الله، محمد إسماعيل ، الأصول اليونانية في الفكر السياسي الغربي مرجع سبق ذكره ص 10.

<sup>2</sup> \_ أرسطو، السياسة ، مرجع سبق ذكره ، ص 93.

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 94.

الصغر علي الأخلاق والفضيلة ونبذ كل حالات العنف والعدوان والحروب والاحتلال، لكن مع أنهم نبذوا كل هذه الصفات إلا أنهم أباحوها فقط للمجتمع اليوناني لأنهما يعتبران هذا أن المجتمع اليوناني هو هم الأسياد الذين لهم كل الأحقية في التملك والسيطرة.

ب: "الدولة المثالية عند أرسطو

"إن المدينة الفاضلة في نظر أرسطو هي المدينة السعيدة التي يستطيع أن يتمتع فيها كل مواطن بفضل القوانين بتحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة فالمدينة شأنها شأن الفرد الذي لا يقدر له النجاح إلا إذا تسلح بأسلحة الحكمة والفضيلة والشجاعة فمتى حقق الفرد هذه الأشياء وجمع بينها سمى عادلا وحكيما، وكذلك هو الحال بصدد المدينة.<sup>1</sup> يري أرسطو أن المدينة المثالية هي التي تحقق للفرد السعادة، بحث أن كل شخص داخل المدينة وبفضل قوانينها يحس بالسعادة لأن المدينة مثلها كمثل الشخص الحكيم الذي يتمتع بالحكمة والفضيلة.

"والمدينة الفاضلة هي التي يتحقق وجودها من خلال مجموعة من العوامل البيئية والاجتماعية والسكانية، حيث يشترط فيها أن تتناسب مساحة المدينة مع حاجات المواطنين بحيث توفر لهم حياة كريمة معتدلة، كما يجب أن تكون المدينة محصنة صعبة المدخل حتى تكون آمنة من هجمات الأعداء المغيرين.<sup>2</sup> والمدينة الفاضلة لها شروط حسب أرسطو إذ يجب أن تتوفر فيها عوامل بيئية واجتماعية جيدة، إضافة إلى المدينة الفاضلة يجب أن تكون محمية ومحصنة لتفادي أي هجمات من الأعداء.

ج: نظام الدولة عند أرسطو

كان أرسطو كغيره من الفلاسفة اليونان يعتقد أن النظام السليم والراقي يتحقق من خلال دولة المدينة التي يجب أن تتوفر علي الشروط التالية:

<sup>1</sup> \_النقاي، حاتم، مفهوم المدينة في كتاب السياسية لأرسطو ، دار الحوار للنشر والتوزيع، د ط ، 1995، اللاذقية ،ص 73.

<sup>2</sup> \_أرسطو ،السياسة،مصدر سبق ذكره ، ص249



1: من حث عدد السكان:

كانت الغاية من الاجتماع في رأى أرسطو هي الحياة العادلة والفاضلة والسعيدة، ليس بالتفاخر بعدد السكان، بحيث يجب أن لا ينقص العدد عن الحد الأدنى الضروري لكفاية المدينة نفسها، و ألا يعد حدا أقصى حتى لا يختل النظام و يتعذر الحكم الصالح، وهو يقدر بألف نسمة. فأرسطو يربط أمر كثرة السكان بمسألة التشريع، وذلك لأن التشريع لا يمكن أن يكون صالحا إذ ما تكاثر السكان باعتبار أن كثرة السكان سوف تهدد نظام المدينة وإتلاف سكانها حيث اسند أرسطو في هذا علي الأحكام السياسية التي كانت عند مصر والهند والصين<sup>1</sup>. يري أرسطو أن المدينة الفاضلة ليست بعدد سكانها إن كثر أو قل، إذ يجب أن يكون عدد السكان يلاءم لمساحة المدينة حتى لا يختل النظام، وأن الغاية الحقيقية من الاجتماع هي تكوين حياة فاضلة وعادلة وسعيدة.

ذلك أن أرسطو يقر بأن المواطن يجب أن يشارك في الحياة السياسية مشاركة مباشرة، وهو ما يتعذر إمكانه عندما يصبح عدد السكان كبيرا " حيث أن النظام الأمثل ينتج من توافق العدد والسعة ولن يتحقق خير الدولة إلا إذا كان عدد مواطنيها مناسبا لمساحة رقعتها"<sup>2</sup> إن أهم شرط لتنشئة دولة مثالية في نظر أرسطو هي الاهتمام بعدد سكانها حتى لا يختل توازن الدولة ولا تستطيع أن توفر للسكان المعيشة الجيدة.

2: موقع المدينة ومساحتها

"يري أرسطو بأن المدينة يجب أن تكون محصنة ضد الأعداء، كما يجب أن تملك جيشا قويا يدافع عنها ومن الأفضل أن يكون موقعها مشرفا علي البحر ليسهل تمويلها في حالة حصارها. فإنه خير للدولة و لأرض الوطن أن تتصل بالبحر سواء لأمنها الذاتي أو لتتوفر

<sup>1</sup> \_النقاطي ، حاتم، مفهوم المدينة في كتاب السياسية لأرسطو ، مرجع سبق ذكره ص74.

<sup>2</sup> \_أرسطو، السياسة ، مرجع سبق ذكره ، ص 249

ضروريات المعاش لديها"<sup>1</sup> . المقصود هنا أن أرسطو في الشرط الثاني لتكوين الدولة المثالية ركز علي موقع المدينة بحيث يجب أن تطل هذه المدينة علي البحر لكي يسهل تمويلها وتعاملها مع شعوب الأخرى، ومن ناحية أخرى يجب أن تحاط هذه المدينة بحصن لتأمينها من أي اعتداء.

"والشرط الثالث هو المساحة إذ يقول أرسطو أن لكي تكون المدينة سعيدة يجب أن تكون فسيحة الأرجاء، وإذ كان هذا المبدأ صحيحاً فإن الذين ينادون به يجهلون حقا قيمة سعة نطاق الدولة وضيقة، لأنهم يحكمون في هذا الصدد بعدد سكانها لا غير "حيث يجب أن تكون مساحة الدولة متوافقة مع حاجات مواطنيها. وتوفر لهم الحياة السهلة وكريمة شرط أن لا تتجاوز ذلك إلي الترف."<sup>2</sup> أما بخصوص الشرط الثالث فيري أرسطو أن مساحة المدينة تلعب دور أساسيا في سعادة مواطنيها أي يجب أن تكون المدينة مساحتها فسيحة وواسعة بحيث أنها تلاءم حاجات وأعمالها.

<sup>1</sup> \_ أرسطو، السياسة ، مرجع سبق ذكره، ص 369.

<sup>2</sup> \_ كرم، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، هنداوي للنشر ، د.ط ، ، القاهرة ، مصر، 2012، ص 244.

المبحث الثاني: نظرية العقد الاجتماعي في الأطروحات الإسلامية .

المطلب الأول: الفلسفة السياسية عند الفارابي (206 هـ\_874 م)(339هـ\_950 م)

أ: التجمع البشري عند الفارابي

" حيث يعتبر الفارابي أن الإنسان مدني بطبعه فهو يميل بطبيعته إلي الاجتماع بالآخرين، وأن هذا الميل فطري في الإنسان، لأنه وحده لا يستطيع أن يحقق كماله بنفسه وقد أطلق الفارابي علي الإنسان لقب "الحيوان المدني" فالإنسان في مفهومه مضطر بطبيعته إلي الاجتماع مع غيره من بني جنسه، لأن الاجتماع هو وسيلة لتحقيق كماله وليس غاية.<sup>1</sup> معنى هذا أن الفارابي يري أن اجتماع الناس مع بعضها هو فطرة الله خلقها في الإنسان حيث خلق الإنسان مفطورا علي الاحتياج لغيره ويجد الصعوبة في التأقلم في العيش بمفرده.

" ويرى الفارابي الاجتماع بين الناس يجب أن يكون بالتعاون وتقسيم العمل وتبادل الحاجات لان الناس هم بحاجة إلي بعضهم البعض، إذ أن التعاون في رأيه هو مصدر عن هيئات وملكات إرادية من أجل بلوغ السعادة والاجتماع. وفي نظره هو اجتماع إرادي قائم على القصد والإرادة فالاجتماع الإنساني ليس له علاقة بالقهر أو الغلبة أو القراة أو النسب أو التصاهر فالاجتماع بالمفهوم الصحيح عند المعلم الثاني هو ظاهرة طبيعة وليس مصطنعا.<sup>2</sup> يعني أن الفارابي يري أن من أجل تحقيق السعادة داخل المدينة الفاضلة يجب أن يكون التجمع الإنساني يخلو من الظلم والجور ويجب أن يكون بعيدا كل البعد عن العلاقات الإنسانية القريبة من الحاكم مثل التصاهر والنسب.

" فالعمل من أجل تحقيق غايات المجتمع وأهدافه يحقق الكمال والسعادة لأفراده، فالفرد هو الوحدة الأساسية لتكوين المجتمع ولولا وجوده لما ظهر التجمع البشري، والمجتمع لا

<sup>1</sup> مهدي، محمد حسن، المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها، دار الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 77.

<sup>2</sup> صقر أحمد، مصطفى، نظرية الدولة عند الفارابي، مكتبة الجلاء الجديدة، د ط، 1986، القاهرة، مصر، ص 14.

يستطيع أن يتقدم في نمو في معالم الثقافة والحضارة، والفرد يحتاج إلي مجتمع من أجل تحقيق أهدافه وطموحاته في المجتمع فهذا الأخير هو الذي يزود الفرد بالمهارات يعلمه العادات والتقاليد ويحميه من المخاطر.<sup>1</sup> يري الفارابي أن الفرد لا يستطيع أن يصل إلي الكمال والسعادة في حياته إلا إذا كان في وسط اجتماعي، فالمجتمع بدوره هو الذي يزود الفرد بالمهارات ويعلمه من خلال العادات والتقاليد، حيث أن المجتمع هو أيضا لا يستطيع أن يحقق التقدم والنمو والازدهار في الحضارة والثقافة إلا بوجود أفراد طموحين وناجحين.

ب: أنواع المجتمعات عند الفارابي

" يري الفارابي أن الإنسان اجتماعي بالطبع، حيث يميل إلي العيش في جماعة من بني جنسه حتى يحصل علي السعادة في الدنيا والآخرة فإنه من الطبيعي أن هذا الميل إلي الاجتماع بالآخرين سوف ينجم عنه اجتماعات إنسانية مختلفة، وبذلك قسم الفارابي المجتمعات البشرية إلي قسمين رئيسين: المجتمعات الكاملة والمجتمعات الغير كاملة "ناقصة".<sup>2</sup> يري الفارابي أن الإنسان لا يستطيع العيش منفردا، فاجتمع مع بني جنسه في منطقة معينة سميت بالمعمورة وكانت تحتوي علي تجمعات بشرية، حيث قسم الفارابي هذه المجتمعات إلي قسمين وهم الكاملة وغير الكاملة.

"فالمجتمعات الكاملة هي التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بأكمل صورة ويتحقق فيها السعادة والفضيلة، أما المجتمعات الناقصة لا يتحقق فيها التعاون الكامل وبالتالي تعجز أن تكفي نفسها بنفسها ونجد أن المجتمعات الكاملة تعني أنها مدينة فاضة وبالتالي هي تنقسم إلي ثلاث طبقات هم (عظمي، وسطي، صغرى)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_ غمام بشير، زكريا، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار السودانية للإسلام، ط1، 1998، الخرطوم السودان، ص 174.

<sup>2</sup> \_ الفارابي، أبو نصر، أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق للنشر، ط2، 2000، بيروت، لبنان، ص 71.

<sup>3</sup> \_ صقر أحمد، مصطفى، نظرية الدولة عند الفارابي، مرجع سبق ذكره، ص 22.

وقسم الفارابي المدينة الفاضلة إلى ثلاث طبقات:

1: حكماء المدينة الفاضلة الذين يعرفون الحقائق ببراہين وببصائر أنفسهم أي بالحدس والأدلة البرهانية.(العظمي).

2: يليهم من يعرفون هذه الأشياء بالأدلة العقلية التي يقدمها لهم هؤلاء الفلاسفة فهم أتباع لهم ويسيروا علي تصديقهم.(الوسطي).

3: والباقي يعرفونها بالمثلثات التي تحاكيها أي التشبيهات '(الصغرى)'<sup>1</sup>.

" تعتبر فكرة المجتمعات الكاملة هي فكرة لم يذكرها أحد من قبل الفارابي. حتى فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو الذي استعانا بنظريتهما في الدولة لم يتكلموا عنها لأنهم لم يكونوا يفكرون إلا فيما يقع تحت مشاهدتهم وهو الدويلات الصغيرة التي تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها، ولعل ذلك يرجع إلي تأثير الفارابي بتعاليم الدين الإسلامي الذي يهدف إلي إخضاع العالم كله إلي حكومة واحدة ونظام واحد.<sup>2</sup> معنى أن الفارابي أخذ بفكرة المجتمعات الكاملة واستمدها السامية عالمية الإسلام لأن هذا الإسلام يهدف إلي جعل العالم واحد يخلو من الفوارق مثل الجنس واللون والأرض.

وقد وردت العديد من الآيات في القرآن الكريم تدل علي عالمية الإسلام منها قوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة لناس جميعا بشيرا ونذيرا"<sup>3</sup>، وقوله أيضا "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_ حلمي مطر ، أميرة ، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، مرجع سبق ذكره ،ص44.

<sup>2</sup> \_ حسن مهدي ، محمد ، المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها ،مرجع سبق ذكره، ص 83

<sup>3</sup> \_ سورة سبأ، من القرآن الكريم الآية 28

<sup>4</sup> \_ سورة الأنبياء ، من القرآن الكريم ، الآية 107

ج: مكانة الحاكم في المدينة الفاضلة عند الفارابي:

إن مكانة الرئيس الفاضل عند الفارابي كمنزلة القلب في الجسم ويتضح ذلك من خلال قوله "وكما أن عضو الرئيس هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشارك عضو آخر أفضله ودون أعضاء أخرى رئيسية مما دونها كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه وله من كل ما يشارك فيه غيره أفضله ودونه قوم مرؤوسون له ويرأسون آخرون.<sup>1</sup> معنى هذا أن "الفارابي" يضع للحاكم مكانة عظيمة إذ صلح الحاكم يصلح بضرورة المجتمع الذي يحكمه، حيث يرى الفارابي أن الحاكم يجب أن يتمتع بعدة خصال منها قوله.

"مثل هذا الرجل يكون رئيس المدينة والأمة والمعمورة الفاضلة فوجد أن يكون متصفا باثنتي عشرة خصلة، منها ما يخص الجسم، وهي أن يكون تام الأعضاء، يقوم كل عضو بوظيفته، ومنها ما يخص العقل وهي أن يكون جيد الفهم، جيد الحفظ وذكيا وفتنا حسنا لعبارة، محبا للتعليم ومنها ما يخص الأخلاق، وهي أن يكون غير شره، محبا للصدق، كريم النفس غير متمسك بأعراض الدنيا محبا للعدل، قوى العزيمة."<sup>2</sup> يرى الفارابي أن الحاكم الذي توكل إليه حكم المدينة يشترط فيه عدة خصال وهي خصال الرجل الحكيم المتعلم والمتقف الذي يستطيع فض النزاعات بين الناس بحكمة ومساواة، ويرى الفارابي أن إذا كان الرئيس فاضلا تجتمع فيه الخصال الحميدة يكون الاجتماع فاضلا بدوره، وبالتالي تكون المدينة فاضلة محصلة السعادة لأهلها، ومضادة للمدن الشريرة.

<sup>1</sup> \_ الفارابي، أبو نصر، سياسة المدينة، دار أحمد المكان أباد، د ط ، 1346 ، ص 41.

<sup>2</sup> \_ الفارابي ، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة ، مرجع سبق ذكره ، ص 27.

المطلب الثاني الفلسفة السياسية عند الماوردي (364هـ\_450هـ) (974\_1058م)

أهم آراء الماوردي السياسية :

"يحتل الماوردي في ميدان الفكر السياسي مكانة مرموقة ومنزلة مشهورة. ولم يترك جانبا من إدارة شؤون الدولة، ورعاية شؤون الجماعة الإنسانية إلا عالجه واستقصى حقيقته. ولعل هذا يتفق مع ما جاء به فقهاء المسلمون، وليس بالغريب إذ المعروف أن فقهاء المسلمين هم أنفسهم الذين صاغوا الأسس العلمية للدولة صياغة سليمة، مستتيرين بذلك بأحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله. وليس هذا بمستكثر على الفكر الإسلامي الذي يجمع بين الدين والدولة، ولا يعرف التفرقة بين الدين والسياسة.<sup>1</sup> معنى هذا أن الماوردي هو من أهم المفكرين الذين ساهموا بعلمهم وفي الدين السياسية لإعطاء أفكار ومفاهيم جديدة للدولة بطريقة إسلامية مثله مثل الفقهاء المسلمين الكثيرين.

"حيث يرى الماوردي أن الإنسان كائن اجتماعي خلق ليعيش في مجتمع وباختلاف قدرات بني البشر وتباين صفاتهم وتنوع سماتهم يتحقق للمجتمع تكامله، إنه التكامل الناجم عن تعاون الناس داخل المجتمع، كل من يقوم بوظيفته بحسب قدراته، وبالتالي يحتاج كل منهم الآخر، فيتحقق التواصل ويكون التكامل."<sup>2</sup> يرى الماوردي أن الإنسان هو اجتماعي بطبعه، حيث انه دائما ما يسعى إلي تحقيق السعادة والكمال ولا يصل إلي هذين الفضيلتين إلا إذا كان مجتمعا مع بني جنسه ذلكم هو ما يعبر عنه الماوردي في قوله "وأما إذ تباينوا واختلفوا صاروا مؤلفين بالمعونة، متواصلين بالحاجة لأن ذا الحاجة وصول والمحتاج إليه موصول."<sup>3</sup> يقصد الماوردي هنا أن الفرد هو بحاجة إلى مساعدة غيره، ومن هذه المساعدة يصبح البشر يعيشون في مجتمع واحد وأساس هذا المجتمع هو التعاون والألفة بين بعضهم البعض.

<sup>1</sup> \_ هلال السرحان ، محي، في مقدمة تحقيق كتاب الماوردي ، مطبعة الإرشاد، د ط ، بغداد ، 1981 ، ص 20 ، ص 18.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 28.

<sup>3</sup> \_ وهبان ، احمد، الماوردي رائد الفكر الإسلامي ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، د ط ، 2001 الإسكندرية ، مصر ، ص 30.

"يعد كتاب "الأحكام السلطانية و الولايات الدينية" هو من أشهر مؤلفات الماوردي علي الإطلاق، وقد نال عناية كبيرة من طرف الباحثين بمجال الفكر السياسي الإسلامي وخاصة المستشرقين، لقد كان هذا الكتاب خلاصة تفكير عميق وحصيلة نظر طويلة في السياسية والأخلاق، وثمره فكر ثاقب ف الفقه ، وهو بذلك يعتبر بحق نموذجاً مثالياً للخطاب السياسي الفقهي ويقر العديد من الدارسين أن فكر الماوردي هو نواة رئيسية في فكره هي نظرية الخلافة " <sup>1</sup> معنى هذا أن الماوردي هو مفكر سياسي إسلامي لديه العديد من المؤلفات وأبرزها كتابه "الأحكام السلطانية و الولايات الدينية " هذا المرجع الذي درس من طرف العديد من الباحثين والمستشرقين وأجادوا هؤلاء جميعاً في فكر الماوردي السياسي.

"إن القرآن والسنة حسب الماوردي هما مصدر شرعية السلطة في الإسلام، إذ أنهما يمثلان دستور الدولة الإسلامية من جهة، كما يعدان من جهة أخرى بمثابة الأيديولوجية التي يستعان بها في تنظيم شتى قطاعات المجتمع السياسية، الاجتماعية و الاقتصادية." <sup>2</sup> يعني هذا أن الدولة عند الماوردي ترتكز علي القرآن والسنة، وهما أساس فكره السياسي حيث ربطهما مع كل أجزاء المجتمع وفي كل كتبه ومؤلفاته نجد استعان بالقرآن والسنة لتأكيد قوله:

"تتضمن كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي عشرين باباً بدأها بموضوع الإمامة وكيفية عقدها، وشروطها، وبعدها تعرض للأبعاد الاقتصادية." <sup>3</sup> ضمن هذه العناصر الموجودة في كتاب الماوردي قد بين من خلال الأبواب وجوب قيام سلطة سياسية "الإمامة " في المجتمع فريضة إسلامية فهي فرض مثل الجهاد في سبيل الله ثم تكلم في الأبواب الأخرى عن الإمارات وأكد علي تولي الحاكم فصلها عن كل أبعاد شخصية.

<sup>1</sup> \_ وهبان ، احمد، الماوردي رائد الفكر الإسلامي، مرجع سبق ذكره ، ص 32.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 48.

<sup>3</sup> \_ شبايبي، ياسين، الفكر السياسي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بالقائد ب تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، 2017، 2018 ص 31.



حيث يؤكد الماوردي بأن يجب أن يكون الحاكم هو المنظم للدولة بحيث يجمع بين السلطة الروحية والسياسية فلولا لعاش الناس في فوضى وخراب ولعم الفساد ، ويرى أن الإمامة فرض كالجهد وطلب العلم ، فالإمام له قدسيته الخاصة كونه خليفة للأنبياء فهو يسير أمور الدنيا ويوجههم لأمر الدين حيث يقول الماوردي في كتابه الأحلام السلطانية " أنه لولا الولاة لكان الناس في فوضى مهملين، وهمجا مضاعفين وفي كتابه أدب الدنيا والدين يعتبر الماوردي وجود السلطة السياسية أحد عوامل ستة رئيسية من شأن توافرها تحقق الاستقرار للحياة الاجتماعية.<sup>1</sup> يرى الماوردي أن لولا وجود حاكم في المجتمعات الإنسانية ليفض النزاعات بين الناس داخل المجتمع لعم الصراع والخراب وطبيعة الإنسان ميال إلي الصراع لسبب الخيرات الدنيوية لذلك وجب وجود سلطة تضع قوانين صارمة.

يرى الماوردي لتنصيب حاكم "إمام" يجب يكون فيه عدة مزايا أو شروط وهي كالتالي :

1\_ يرى الماوردي أنه يجب أن يكون للإمام شروط خاصة منها النسب رغم اختلاف بعض المفكرين حول هذا الشرط، لكن الماوردي يرى وجوب النسب من خلال تمسكه بنص الحديث "الأئمة من قریش"، وقوله عليه الصلاة وسلم "قدموا قریشا ولا تتقدموها" ولهذا نراه يقول " ليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ولا قول لمخالف له"<sup>2</sup> يؤكد الماوردي أن الشرط الأول والأساسي لتنصيب الحاكم هو مراعاة لنسبه حيث يعتمد علي الأحاديث النبوية .

2\_ " كما يجب علي الحاكم أن يكون كامل القدرات الجسمية والعقلية، أي سليم الحواس من كل العوائق بحيث يميز بين الصحيح والخاطيء وذلك لتسير أمور الدولة."<sup>3</sup> وأن يكون الحاكم سليم الجسم والعقل بحيث يستطيع أن يدير شؤون الدولة بحكمة

<sup>1</sup> \_شبايبي، ياسين، الفكر السياسي في العصر الوسيط المرجع نفسه، ص 32.

<sup>2</sup> \_إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، مجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2001، ص 219.

<sup>3</sup> \_وقيع الله محمد، مدخل إلي الفلسفة السياسية، دار الفكر للنشر، ط1، 2010، دمشق، سوريا، ص 100.

3\_ "العدالة علي شروطها الجامحة. وقد فسرها الماوردي ببقوله " أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم، متوقيا المآثم، في دينه ودنياه، ومن معاني العدل القيام بالواجب والمساواة والتسوية والمعرفة، وهو الحكم بالحق عدلا بحيث لا يميل إلا إحدى الجهتين"<sup>1</sup> يقصد هنا أن الإمام يجب أن يكون عادلا بين الناس بحيث لا يظلم أي فرد من المجتمع في مجالسه.

أما بنسبة للواجبات الحاكم فهي عدة منها: <sup>2</sup>

- 1- "حفظ الدين علي أصوله المستقرة.
- 2- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين.
- 3- الاهتمام بالزمن في الداخل والخارج حتى عيش الناس آمنين في الحال والترحال.
- 4- إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن انتهاك.
- 5- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة لحماية البلاد من الأعداء.
- 6- مراعاة الدقة في تعيين الموظفين في الدولة ، ومباشرة الأمور وتصفح أحوال البلاد بنفسه .

<sup>1</sup> بسبوني، رسلان صلاح الدين /الفكر السياسي عند الماوردي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1938، ص 24.

<sup>2</sup> إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسية، مرجع سبق ذكره، ص 223، ص 222.

المبحث الثالث: رواد العقد الاجتماعي

"هناك ثلاثة محاور رئيسية دار حولها خطاب الفلاسفة والمفكرين في العصر الحديث، أولها وجود "الحالة الطبيعية" في مقابل حالة المجتمع وهنا حالة الطبيعة قد تكون شرا للإنسان وليس لها ضوابط ولا موانع تحول دون القانون الطبيعي كما تحدث عنها هوبز، وكما يري روسو أن الحالة الطبيعية تؤدي إلي اضطراب وفوضى عارمين، وبالتالي لا بد من انتهاء إلي قرار تعاقد اجتماعي بين الجميع داخل المجتمع." <sup>1</sup> اسمي هذا التعاقد "بنظرية العقد الاجتماعي" ولقد عرفت هذه النظرية عدة تطورات حتى وصلت إلي فترة الازدهار التي كانت بين القرنين الأولين حتى وصلت إلي العصر الحديث ومن بين الفلاسفة الذين عالجوا هذه النظرية نجد كل من "توماس هوبز" و"جون لوك" و"جاك جون روسو".

المطلب الأول: توماس هوبز "T.Hobbes" (1679/1582)\*

"نشبت في إنجلترا حرب أهلية بسبب الخلاف علي السلطات الملك في فرض الضرائب بين شارل الأول وقواته من ناحية، والبرلمان الإنجليزي بقيادة "أوليفر كرومويل" (1599\_1646) من ناحية أخرى واستمرت سبع سنوات حسمت في النهاية لصالح البرلمان وإعدام الملك علي المقصلة عام 1649 وإعلان جمهورية "كرومويل" التي انتهت وفاته عام 1658، وعودة الملك شارل الثاني وتنصيبه ملك عام 1660، وكان لا بد لهذه الحرب التي جعلت الفوضى في البلاد، أن تكون موضع تحليل وتشريح الفلاسفة. <sup>2</sup>

ونذكر من بين الفلاسفة الذين عاشوا هذه الأحداث و لم تكن آرائهم من العدم بل كان لهذه الظروف تأثيرا في مسارهم الفكري أولا " توماس هوبز" الذي تأثر بهذه الحرب الدموية

<sup>1</sup> \_قنديل، ماني، الموسوعة العربية للمجتمع العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، د ط، 2008 مصر، ص4.

\*توماس هوبز: T.Hobbes فيلسوف إنجليزي، دخل أكسفورد و هو في 15 من عمره، أخذ يطالع الآداب القديمة وخاصة الشعراء والمؤرخين، عمل في خدمة بيكون، نقل مؤلفاته إلي اللاتينية، له العديد من المؤلفات منها، مبادئ القانون السياسي، التنين، أنظر: جورج الطرايشي معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط2، 1997، ص708.

<sup>2</sup> \_إمام، عبد الفتاح أمام، الأخلاق والسياسة، مرجع سبق ذكره، ص265.

وبقيت في ذهنه بقوة عندما ألف كتاب ( الاوثيان ) حيث يصور الطبيعة البشرية بأكثر تجلياتها سوداوية كان يري " هوبز" أن الناس في الحالة الطبيعية السابقة عن حالة الاجتماع وهي الحالة كانوا يعيشون كالحوانات المتوحشة العنيفة والأنانية . حيث انتهى " توماس هوبز" بأنه لا بد بوجود سلطة مطلقة ومادامت السلطة قوية تمنع الفوضى وتدعم النظام.<sup>1</sup> يري توماس هوبز في أن الإنسان عاش في مرحلة ما قبل المجتمع بحالة همجية لا أخلاقية مثل الحيوان، ولذلك كان لا بد من إنشاء مجتمع تحت سلطة قوية ومطلقة تحميهم من الأخطار الخارجية والداخلية.

ويرى هوبز أن الحالة الطبيعية الأولى كانت تنطلق من محدد هو التنافس الذي يقوم علي الخوف مما يؤدي إلي الصراع وحرب تطيح بالبناء كله، وتلك الحالة قد دخلت كافة القواعد الأخلاقية، ألا المصلحة الشخصية التي يسعى الإنسان إليها بكل ما لديه من قوة وقدرة علي الخداع والاحتيال، ومن ثم فلكل فرد الحق في أن يحصل علي ما يستطيع الحصول عليه وبأي وسيلة كانت.<sup>2</sup> المقصود هنا أن في غياب النظام السياسي الاجتماعي، سيصبح لدي الجميع حريات طبيعة مطلقة لا حد لها، بمعنى أنها ستغدو حرب الكل ضد الكل كما عبر عنها توماس هوبز في كتابه "اللوثيان " وهذه الحرب ستهدم المجتمع ككل. أي أن الإنسان في الحالة الطبيعية لا يملك القدرة علي التعامل والتصرف مع بني جنسه فهو فرد عنيف و منعزل.

حيث يؤكد "هوبز" أن الإنسان لا يملك غريزة الاجتماع والتعاون مع بني جنسه، حيث يرى أن الناس في الحالة الطبيعية قد ولدوا متساوون في حبهم لحريتهم ورغبتهم في البقاء والسيطرة غلي الآخرين، وهذا الشعور في أنفسهم يمنعهم من بناء علاقة جيدة بل تصبح علاقتهم مع بعضهم علاقة حرب مستمرة، هي حرب الجميع ضد الجميع، في هذه الحالة لا يمكن قيام أي صناعة أو علم أو تجارة أو فن لأن الخوف الدائم وعدم الثقة يعوق قيام أي

<sup>1</sup> \_ شريف، محمد أحمد ، فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين ، دار الرشيد ، ط1، 1980، العراق ، ص 154.

<sup>2</sup> \_ فضل الله ، محمد أسماعيل ، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث ، مرجع سبق ذكره ص 32.

مجتمع أو حضارة.<sup>1</sup> ومن هنا نقول أن الحالة الطبيعية عند توماس هوبز هي حالة يستحيل قيام فيها مجتمع متحضر ولذلك يجب علي هذا الأخير أن يخلق مجتمع يعمه العدل والمساواة والسعادة وعدم الخوف من الموت والهروب من حياة الصراع.

ولذلك يري "هوبز" أن أول قوانين الطبيعة هو البحث عن السلام وثاني هذه القوانين هي رغبة الإنسان في التنازل عن حقه الطبيعي علي الأشياء والاقتصار علي قدر من الحرية يتساوى بحرية الآخرين، والقانون الثالث هو إتمام التعاقد بين الناس. ولكن لكي تكون العقود سارية يلزم وجود حاكم يضمن تنفيذها ومن هنا يسعى الإنسان إلي لهروب من الحال الطبيعية بواسطة العقد الاجتماعي، لكن في هذه الحالة لا تكون للعقود أو العهود قيمة حيث لا توجد ثقة بين الناس الأمر الذي يجب وجود قوة ضاغطة تفرض علي الناس احترام تعاقدهم.<sup>2</sup> وضع هوبز قوانين تنقل الإنسان من مرحلة بدائية إلي مرحلة اجتماعية ينعمون من خلالها بحياة آمنة، وتبدأ هذه القوانين حسب هوبز هو البحث عن السلام يعني هذا أن الإنسان في المرحلة الطبيعية كان يفقد إلي الاستقرار و الأمن، و بإضافة إلي علي أن البشر يوافقون علي التنازل عن حقوقهم لصالح سلطة الحكومة المطلقة ليتساوي مع غيرهم.

وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف "توماس هوبز" في كتابه (اللوثيان\_التنين) حيث يري أن الأفراد اضطروا للهروب من الحالة الطبيعية الأولى إلي التعاقد فيما بينهم لإنشاء تجمعات سياسية وهذا التعاقد تم فيما بينهم واختاروا بمقتضاه حاكما لم يكن طرفا في العقد ولم يرتبط لذلك تجاههم بشيء وخصوصا إن أفراد تنازلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية.<sup>3</sup> يتضح هنا أن الفرد الطبيعي هرب من الحياة الصعبة إلي التعاقد لإنشاء مجتمع سياسي ومدني، بعقد اجتماعي ينعم من خلاله بالأمان، وذلك لقاء خضوعه لسلطة مطلقة لرجل معين لا يكون طرف في العقد.

<sup>1</sup> \_ حلمي مطر، أميرة، فلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، مرجع سبق ذكره ص 61.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> \_ كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار الهداوي للنشر، دط، 2012، القاهرة، ص 45.

" الدولة عند "هوبز" هي كل شيء فلا شيء إلا ما ترضاها الحكومة، ولا حقيقة إلا ما ينادى به السلطان وليس تقاس قيم الأعمال إلا بشيء واحد وهو قانون الدولة الذي يفرضه الملك فرضاً ويرى "هوبز" أن الدين والأخلاق هما من صنع الدولة وإنشائها، إذ الإنسان الطبيعي لا يعرف إلا أنانية محضة فالخير هو ما يريده ويرغب فيه والشر هو ما يضره وما يؤذيه وإذ كانت الدولة هي مصدر الدين والأخلاق جميعاً فلها وحدها حق الإشراف عليهما.<sup>1</sup> يبين هوبز هنا أن لا شيء فوق قانون الدولة وشمل هذا حتى الدين والأخلاق هما أيضاً من صنع الدولة وإنشائها.

" هوبز يؤكد علي ضرورة الطاعة للحاكم دون كنيسة، لأنه يرى في الخروج عن الحاكم يكون ضرره علي جميع الأفراد، فحين أن خروج الشخص عن الكنيسة لا يحدث ضرر عن المجموع وعلي ذلك كان السيد عنده هو صاحب السلطة المطلقة، والقوة باعتبارها حق ولكنه ليس حاكماً فحسب، بل هو مشرع أخلاقي أي هو الذي يقرر ما هو خير وما هو شر وما هو عدل وما هو ظلم باعتباره يمثل الوجدان العام.<sup>2</sup> نرى هنا أن هوبز يؤكد علي ضرورة فصل الدين ورجاله عن الدولة، وذلك علي اعتبار أن لا وجود لسلطة دينية خارج سلطة الحاكم، فهوبز يري بأن الدين ليس إلا بدعة اختلقها الخيال.

"إن الهدف من قيام الدولة في نظر "هوبز" هو المحافظة عن حقوق الناس ومصالحهم و نشر الفضائل المختلفة و إرغامهم علي السلوك القويم حتى وأن دعا الأمر إلي أن سوقهم الحاكم كرها نحو الفضيلة، علي اعتبار أنهم "قصر" أو هم كالصبية الذين لا يعرفون مصالحهم الخاصة، وربما أسأؤوا لي أنفسهم بسلوكهم المعوج، فيحرمهم ذلك من دخول الجنة التي يعدهم بها.<sup>3</sup> نرى هوبز أن الدولة يجب أن تنتقل من حالة الابتدائية إلي حالة أفضل وهي حالة لا تكون إلا بوجود تعاقد اجتماعي الذي يكون بين أطراف الناس جميعاً، إلا الملك لا يكون في طرف العقد وبالتالي لا يتحمل أية التزامات من جهة أخرى، ولكن عليه واجب واحد فقط هو

<sup>1</sup> \_ محمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط، 1926 ، ص 92.

<sup>2</sup> \_ زروخي، إسماعيل، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سبق ذكره ص 198 ص 199 ،

<sup>3</sup> \_ إمام عبد الفتاح، إمام، الأخلاق و السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 273.

بناء قوته وصيانتها حتى يستطيع تحقيق الأمن والسلام، ويرى هوبز أيضا أن واجب الملك أن يقود أفراد المجتمع إلي السلوك السوي حتى إذا كان الأمر بالغضب.

### المطلب الثاني: \*جون لوك ( J.Lock ):1632\_1704

يعتبر جون لوك هو أحد مؤسسي المذهب الحري الجديد، فهو يعارض توماس هوبز في تصويره الإنسان قوة غاشمة وتصوره حال الطبيعية حال توحش يسود فيها قانون الأقوى، ويذهب إلي أن الإنسان له حقوق مطلقة لا يخلقها المجتمع وأن حلة الطبيعة تقوم علي الحرية، أي أن علاقة الناس علاقة كائن بكائن حر، تؤدي إلي المساواة والعلاقات الطبيعية بأقية بغض النظر عن العرف الاجتماعي، وهي تقييم بين الناس مجتمعا طبيعيا سابقا عن المجتمع المدني، وقانون سابق عن قانون المدني.<sup>1</sup> يعارض جون لوك فلسفة توماس هوبز حيث يرى أن الإنسان قبل الحالة المدنية كان يعيش حياة طبيعة سادت في تلك الحالة مساواة بين البشر وأن الإنسان يتمتع بكل حريته المطلقة في الطبيعة، وليس حالة توحش كما يصفها الفيلسوف توماس هوبز.

يعتبر جون لوك خير معبر عن نظرية العقد الاجتماعي، فلقد اتخذ هذه النظرية كآلية عمل يوصل من خلالها فكريا جديدا، فلقد افترض لوك حالة طبيعية فطرية قبل الحالة الاجتماعية المدنية حيث ساد في هذه الحالة الأولي علي حسب رأيه السلام والأمن والحرية والمساواة، فيرى أن هذه الحالة ساد فيها قانون طبيعي يحكمها ويعلم الناس المساواة والحرية، ومن خلال شرحه للحالة الطبيعية الأولي نجد الفرق بين تعريفها في نظر الفيلسوف " توماس هوبز الذي يرى أن الحالة الطبيعية هي حالة وحشية غير منظمة عاش فيها الإنسان بوحشية." فكان من الطبيعي أن يعدل جون لوك كثيرا من آراء سابقه هوبز واهم النقاط التي عارض فيها

\* جون لوك J.Lock هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي انجليزي ولد في 29 أغسطس 1632 ، تأثر بديكارت حصل علي درجة ليسانس بدامعة أكسفورد ، ترك ميراثا عقليا في موضوعات عدة منها نظرية المعرفة والسياسية والأخلاق والتربية و أهم مؤلفاته مقالة في العقل البشري وروح التسامح.أنظر إلي يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة،مرجع سبق ذكره ،ص 50

<sup>1</sup> \_كرم ،يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ، د ط ، ص،145 .

هوبز هو تصوره للحالة الطبيعية وكذلك نظرية العقد الاجتماعي.<sup>1</sup> أهم نقطة هو تصوره للحالة الطبيعية والمجتمع المدني.

الحالة الطبيعية والمجتمع المدني عند جون لوك:

"الحالة الطبيعية هي تلك الحالة التي يتمتع البشر فيها بكل حرياتهم التامة بقيام بأعمالهم والتصرف بأموالهم و بذواتهم، وذلك ضمن إطار السنة الطبيعية وحدها، ودون أن يحتاجوا إلا إذن من أحد أو يتقيدوا بمشيئة أي إنسان. وهو وضع من المساواة أيضا، فلا يكون حظ أحد منهما أكثر من حظ الآخر. ومع أن هذا الطور من الحرية فهو ليس طورا من الإباحية، فالإنسان في هذا الطور يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته".<sup>2</sup> يبين جون لوك أن الإنسان في الحالة الطبيعية يتمتع بكل مجموعة من الحقوق والحريات الطبيعية مما ينشأ عنه صراعات ونزاعات بسبب افتقار الحالة الطبيعية لبعض المحددات الضرورية للعيش في إطار مجموعة بشرية. "وهو ما يلخصها "جون لوك" في ثلاث محددات.

" غياب قانون محدد ومقبول من طرف العموم كمعيار للحكم، وغياب قاض متمكن وغير منحاز في تطبيقه للقانون، ثم غياب السلطة ذات قوة للتسيير وتنفيذ القوانين، ومن أجل تجاوز هذا الوضع والحفاظ على الحقوق وضمان الحريات الفردية والجماعية بشكل مستمر، ينبغي عليهم إبرام موثيق وعقود تخول لهم الانتقال من الحالة الطبيعية إلي حالة جديدة ومنظمة سياسيا و اجتماعيا".<sup>3</sup> يقصد لوك من هذا أن الناس صحيح كانوا يعيشون حياة جيدة تمنحهم مجموعة من الحقوق في الحالة الابتدائية، لكن أحس الناس بضرورة تنظيم حياة الفطرة هذه، إذ أن هذه الأخيرة تفتقر قانون يحكم داخلها في النزاعات والصراعات، فقرروا بكامل حريتهم أن

<sup>1</sup> \_حلمي مطر، أميرة، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، مرجع سبق ذكره، ص 65.

<sup>2</sup> \_لوك، جون، مقالتان في الحكم المدني، تر ماجد فخري، اللجنة الدورية لترجمة الروائع، د ط، بيروت، لبنان، 1995، ص 139، ص 149.

<sup>3</sup> \_وقيع الله محمد، مدخل إلي الفلسفة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 167.



يتنازلوا عن البعض من حقوقهم بالقدر الذي يتيح لهذه السلطة أن تدافع عن مصالحهم وحقوقهم وتتعلمهم بالسلام والاستقرار.

يقول لوك "إن حالة الناس الذين يعيشون معا وفق للعقل، دون رئيس عام علي الأرض ذي سلطة للحكم بينهم بصورة ملائمة، هي حالة طبيعية"<sup>1</sup> وذلك بمعنى أن الحالة الطبيعية هي تصف حالة الإنسان التي تسبق ظهور مجتمع مدني منظم، لأن وجود هذه المرحلة هي إشارة إلي مستوى الخبرة السياسية للناس فيها، وهذه الحالة لا تقتصر علي حياة قديمة في تاريخ البشرية فقد نجد هذه الحالة في الوقت الحاضر.

ويقول لوك أيضا "فمن يسفك دم إنسان ،فإن إنسانا سيسفك دمه "هذا جزء من قانون الطبيعة فبوسعي أن أقتل لصا وهو يسرق ما أملك ، وهذا الحق يبقي بعد زوال مؤسسة الحكومة ،فحيثما كانت هناك حكومة إذ أفلت اللص فعلي أن أتخلي الانتقام الخاص وألوذ بالقانون"<sup>2</sup>يري لوك أن في الحالة الطبيعية يعيش الناس وفق "لقانون الطبيعة"، وفي هذا الأخير أمر مهم هم مقاومة والمحافظة عن الحياة ويكون ذلك في أن كل فرد تعرض له فرد آخر فسيلاقي نفس الحتف وأن لكل إنسان الحق في أن يدافع عن نفسه وممتلكاته وأن يعاقب المجرمين كما يشاء حتى وإن كان العقاب القتل، هذا الأمر في الحالة الطبيعية أما إذا حصل أمر هكذا في الحالة الاجتماعية (المدنية) فيختلف الأمر فإذا كانت هناك حكومة في المجتمع فيتغير الحكم فعقاب المجرم يكون بالاستعانة بالقانون . كما يقول يري لوك "إن أولئك الذين يتحدون في مجموعة واحدة، ولديهم قانون عام راسخ وسلطة قضائية يلجئون إليها، أعني وجود سلطة تفصل في المنازعات بينهم، وتعاقب المعتدين يكونون في مجتمع مدني"<sup>3</sup> هنا جون لوك يعطي تعريف مختصر للمجتمع المدني حيث يري أن المجتمع المدني هو ذلك المجتمع الذي

<sup>1</sup> \_ محمود ،زكي نجيب ،قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سبق ذكره ، ص 11.

<sup>2</sup> \_ برتاند،راسل ،تاريخ الفلسفة الغربية ،تر محمد فتحي الشنيطي ، المصرية الحمامة للكتاب ، ص 201.

<sup>3</sup> \_ محمود ،زكي نجيب ،قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سبق ذكره ،ص 12.

يجمع عدة أفراد في رقعة واحدة، وتكون فيه سلطة تفصل بين النزاعات وتعاقب كل معتدي .  
يعني هذا كان الانتقال من حالة الفطرية إلي حالة مدنية ضروري في حياة الإنسان.

"حدد لوك فكرة العقد الاجتماعي أنها تقوم علي التراضي و أحقية الشعب في مواجهة الحاكم كما أنه حدد للسلطة السياسية حدودها و ذلك بإعطاء أكثر قد ممكن من الحرية للمجتمع، وأن لهذه السلطة السياسية لها حدود يجب ألا تتجاوزها و إلا اعتبرت تصرفاتها غير شرعية، ومع ذلك فإن لوك يؤمن بقوة الشعب وراء الحكومة لمحاسبتها.<sup>1</sup> أشار لوك هنا أن المجتمع السياسي تأسس علي غرار العقد الاجتماعي الذي ابرم مع الشعب والحاكم، والذي نقل الإنسان من حالة الطبيعة ألي سياسية منظمة واجتماعية، وبين أيضا أن الشعب يستطيع محاسبة السلطة أو الحاكم إذا تصرفت تصرفا غير شرعي. لأن العقد أبرم معهما هما الاثنان والحاكم هو ضمن العقد عكس ما كان يري توماس هوبز.

"يجسد قانون العقد الاجتماعي في مخيلة لوك علي عدة نقاط أهمها أن المجتمع مصدر السلطات التي ترجع لحكم الأغلبية و الحاكم فرد من الشعب يحكم القانون ويمارس مهامه وفقا لقانون وذلك بمراعاة قانون الطبيعة، وفي حالة إخلاء الحاكم بمسؤوليته وجب عزله وذلك لأن الشعب له الأحقية في عزل الحاكم من الحكم عند عدم القيام بمسؤوليته اتجاه الدولة.<sup>2</sup> يركز لوك هنا أن الحكومة التي لا تخدم المواطنين وتتعدى عن حقوق الأفراد والتي هي (حق الحياة وحق الحرية وحقا لتملك). هي هنا تكسر العقد الاجتماعي الذي أبرمته نع الشعب والذي يعد السبب الرئيسي لوجودها، هنا يجب الإطاحة بهذه الحكومة ومحاسبتها والانقلاب عليها وعزل الحاكم منها" والانتقال عند لوك من الحالة الطبيعية إلى وضعية العقد الاجتماعي هي مسألة توليد لمفهوم السلطة السياسية المبينة علي شرعية مستمدة من المجتمع المدني، والسلطة السياسية هنا تبحث عن مشروعيتها من هذا الانتقال نفسه، أي من نزوع المجموعة البشرية إلي ضمان الأمن و الاستقرار والحفاظ علي الحقوق والحريات. وإن وضعية العقد الاجتماعي لا

<sup>1</sup> \_ فضل الله، محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث، مكتبة بستان للمعرفة، ط1، 2001، ص 75.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص76.

تعني سوى إضفاء الصبغة القانونية والسياسية والمؤسسية علي محددات وتجليات الحالة الطبيعية.<sup>1</sup> المقصود هنا أن السلطة السياسية نتجت جراء انتقال البشر من الحالة الطبيعية إلي الحالة الاجتماعية حيث تستمد هذه الأخيرة مشروعيتها من العقد الاجتماعي المبرم بين الشعب وبينها، حيث يرى جون لوك أن هذا العقد قد أعطي صفات جديدة للحياة الطبيعية ولعل أبرز هذه الصفات أن المجتمع أصبح لديه قوانين وأحكام سياسية تعمل علي ضمان الأمن والاستقرار داخل المجتمع.

<sup>1</sup> \_ فضل الله، محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث ، ص81.



## الفصل الثاني : الفكر السياسي عند جون جاك روسو

### المبحث الاول: الثورة الفرنسية وتأثير روسو فيها

1 : الأوضاع السياسية والاجتماعية في فرنسا

2 :تأثير روسو في الثورة الفرنسية

### المبحث الثاني: البناء السياسي عند روسو

1 : فلسفة العقد الاجتماعي عند روسو

أ: مفهوم العقد الاجتماعي عند روسو: (الحالة الطبيعية .حالة الصناعية)

ب: أسس العقد الاجتماعي عند روسو .( الحق الطبيعي، الحرية،

المساواة )

2: أصل التفاوت بين الناس عند جون جاك روسو

### المبحث الثالث :الدولة عند جون جاك روسو

1 : أنظمة الحكم و رأي روسو فيها

2: علاقة الدين بالدولة " دولة مدنية"



المبحث الأول: الثورة الفرنسية وتأثير روسو فيها

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والفكرية في فرنسا

تعتبر الثورة الفرنسية من أهم الثورات الكبرى في التاريخ، لأن تأثيرها لم يقتصر على فرنسا فقط، بل شمل كل أنحاء أوروبا والعالم، وقبل التكلم عن اندلاع الثورة يجب أن نعرف الأوضاع التي عاش فيها الشعب الفرنسي الذي جعلته يقرر في قيام ثورة.

"كانت المملكة الفرنسية التي تألفت من ولايات مستقلة في الماضي، مختلفة بقوانينها وطباعتها وعاداتها وكانت الأنظمة الداخلية تفصل بعضها عن بعض، وما قام به الملوك من جهود من بينهم (لويس الرابع عشر) لم يؤد وحدتها تماما، وعا هذه الأقسام المادية، كانت الأمة الفرنسية مؤلفة من ثلاث طبقات، وهي طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين وآخر طبقة هي طبقة الفلاحين"<sup>1</sup> اعتمد النظام الفرنسي علي تقسيم الدويلات إلي أقسام عدة وذلك لسبب التمييز بينهم في حين أنهم قسموا الناس أيضا إلي طبقات فطبقة النبلاء هم الذين يحكمون البلاد من أمثال " لويس الرابع عشر" و وزرائه وطبقة رجال الدين هم أولئك المتدينون الذين يتحالفون مع الطبقة الأولى والطبقة الثالثة هي طبقة الفلاحين الفقراء.

"كما أن الملوك يستمدون قوتهم من رجال الدين و أصحاب الكنيسة وآخر طبقة المغلوبة علي أمرهم هم طبقة الفلاحين، يصعب تصور الحياة في المملكة الفرنسية وخاصة حياة الفلاحين الحقيقية، حيث كانوا يعيشون في كآبة وبؤس وجوع ولعل أبرز صورة نشرت في تاريخ الثورة الفرنسية بعنوان "بؤس الفلاحين أيام لويس الرابع عشر" كانت تروي تلك الصورة عن رجل يقاتل الكلاب ليخطف منها عظاما لحم متعفنة، وبجانبه بائس يشد أحشائه من الجوع وامرأة ترعى عشباً وأناسا ألقوا إلي الأرض و أصبحوا كالأموات"<sup>2</sup> هذا دليل علي أن الطبقة الفلاحين

1\_ غوساف، لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، تر عادل زعيتير، كلمات عربية للترجمة والنشر، د ط ، 2012 ، القاهرة، مصر ، ص92.

2\_ المرجع نفسه ، ص 93

كانوا يعيشون في فقر كبير و كان يعيش حالات بؤس واضطهاد من طرف الطبقتين الأولى والثانية حيث تمثل الطبقة الثالثة الغالبية من الأمة الفرنسية.

" كانت طبقة الثالثة من عامة الشعب إلا أنهم لم يكونوا طبقة واحدة متجانسة المصالح، فإنهم أصحاب الملكيات الزراعية، إلا أن كواهلهم مثقلة بالضرائب والحقوق الإقطاعية التي تجعلهم بدرجة كبيرة تحت رحمة تقلبات السوق وسوء المحاصيل" <sup>1</sup> هذا يعني أن أوضاع الفلاحين في المجتمع الفرنسي ظلت في حيز حياة الفلاح في العصور الوسطى وكان يعم الجهل والمرض والجوع والمجاعة وهذه كانت صورة السائدة في حياة القرية الفرنسية.

" أما بالنسبة لطبقة الثانية وهي طبقة رجال الدين كانوا يمثلون 15% من المجتمع الفرنسي، كان مركزهم عاليا جدا في بنية المجتمع الفرنسي، حيث اتخذوا القصور وادخروا التبرعات وإيجار الأراضي الفلاحين بأسعار كبيرة، وصنعوا صكوك الغفران لزيادة مداخلكم، فتركوا الجانب الروحي والتضحية التي كانت جوهر التعليم المسيحية وتفرغوا لاكتناز الأموال والتدخل في الشأن السياسي بالتحالف مع دكتاتورية الملك و\*الأرستقراطية". <sup>2</sup> كانت هذه الطبقة تشكل جزءا أساسيا من النظام الاستبدادي والظالم الذي كان سائد في فرنسا إذ أن رجال الدين نسوا مهامهم الأصلية ورضخوا للطمع وجمع المال وتحالف مع النظام الارستقراطي على حساب عامة الشعب الذي كان يعيش في الحضيض.

"عاش المجتمع الفرنسي في بؤس كبير وأُنشر خوف من جيوش ثورية المؤلفة من قطاع طرق واللصوص الناهبة القاتلة وذلك لأن البلد لم تكن تتمتع بالأمن. فقد عاش الشعب في رعب. فحسب ما كتبه المؤرخون بعد الثورة الفرنسية (عندما قطع أناس مجهولون في بيدوان

<sup>1</sup> \_ بيشوب، موريس، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر علي السيد، المجلس الأعلى للنشر، ط1، 2005، ص 163.

\* الأرستقراطية هي مصطلح يطلق علي تلك الطبقة الاجتماعية الأعلى مكانة بين طبقات المجتمع وغالبا ما ينتقل شرف الانتساب لهذه الطبقة بالوراثة ما بين السلف الخلف أو بالانضمام للسلطة العسكرية، وهو مصطلح يوناني الأصل يقصد به

الممتازة أو السلطة. أنظر إلي أسعد صقر، الأرستقراطية، الموسوعة العربية، 2013\_07\_13، [www/maarif/com](http://www/maarif/com)

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه ص 165،



\_ التي كان يسكنها ألفا شخص\_ هدم فيها 433 بيتا وقطعت 17 شخصا بسكانها بالمقصلة وقتل منهم 46 شخصا رميا بالرصاص، وطرد من بقي منهم واضطروا إلي أن يعيشوا في قطع السبل في الجبال وإلي نحت الكهوف لتكون لهم بيوتا<sup>1</sup> يعني هذا التاريخ قد سجل معاناة الشعب الفرنسي من خلال المؤرخون الذين شاهدوا وصوروا كل الحالات القاسية التي عانت منها الأمة الفرنسية .

" وردت تفاصيل مذابح في "جريدة المونتور" ، العدد الصادر في 22 من ديسمبر 1894 من تقرير الصحافي "توما" تم الاستلاء علي "نوار موتيار" وتم حرق رجال ونساء وشيوخ أحياء ، وبنات كان يقل عمرهن عن 15 سنة يقتلن بعد انتهاك أعراضهن .وجاء في العدد 15 أكتوبر 1894 من ترك الجريدة تقرير "ليمرلاندو تيونيفيل" أثبت فيه أن ريان سفينة ديستان تلقي أمر من أن يحمل عليها إحدى و أربعين ضحية '(منها ضرير بلغ السبعون من عمره واثنى عشرة من نساء وبنات وخمس أطفال ليغرقهن في البحر )"<sup>2</sup> . هذا يعني أن الأمة لفرنسية لم تعاني من الجوع والفقر والحرمان فقط بل عانت حتى الاضطهاد والظلم والموت المرير .

"وجاء قادة الحركة بأراء وتعاليم ونظريات جديدة بالنسبة لقيام المجتمع وتطوره ،هذه الآراء سرعان ما انتشرت في أوساط المجتمع والرواد الذين تحملوا أعباء نشر هذه الأفكار الجديدة هم جماعة المتفلسفين درسوا هذه الأفكار والنظريات، وأمنوا بها وعملوا علي نشرها بعد أن صاغوها بأسلوب مبسط وسلس بحيث تستوعب ذلك الجماهير الأوروبية وأشهر هؤلاء المفكرين هم من فرنسا منهم " مونتيسكو" و"فولتير" و"جون جاك روسو"<sup>3</sup> إن من أهم الأسباب التي ساهمت لإنجاح الثورة الفرنسية هي أسباب فكرية قادها جماعة من المفكرين والفلاسفة الذين عاشوا في فرنسا

<sup>1</sup> \_ غوستاف، لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، تر عادل زعيتر. المرجع سبق ذكره ص 138.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 139.

<sup>3</sup> \_ راسل، برتراند، حكمة غرب في عرض الفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، تر فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والكتاب، د ط، 1983، ص 62.

ورفضوا الظلم و الاستبداد الذي كانت تعيش فيه الأمة الفرنسية ، بحيث أنهم حاولوا التعبير بكل الطرق عن رفضهم للنظام المطلق الذي يقوم علي الظلم و الاستبداد .

#### المطلب الثاني: تأثير روسو في الثورة الفرنسية

"عرفت الفلسفة والاقتصاد والأدب ازدهارا كبيرا في قرن الثامن عشر، وعكست استياء اجتماعيا كبيرا وحركة البرجوازية والجماهير الشعبية التي كانت تنهض لأجل النضال ضد الحكم المطلق حيث تعتبر اليقظة الفكرية الأساس الذي أدى إلى قيام الثورة الفرنسية حيث سميت هذه اليقظة التي شهدتها أوروبا في القرن الثامن عشر" بعصر التنوير "وذلك لأنها تمثل انطلاقة للفكر وتحرر للعقل الأوروبي".<sup>1</sup> المقصود أن أهم سبب أشعل فتيل الثورة هو المفكرين المثقفين والفلاسفة الذين حرضوا الشعب إلى الوقوف أمام الحكم المطلق المستبد وسمي هذه الحركة باليقظة الفكرية.

#### دور الفيلسوف جون جاك روسو في الثورة:

" إن الفيلسوف جون جاك روسو ليس فرنسيا، فمنبته الأصلي من سويسرا، إلا أنه ذهب إلي فرنسا حيث كانت هذه الأخيرة مقر عظمته و مهبط أفكاره، وبعد أن ظل أربعين سنة يقاعد الفقر والفقر يقعه ويطرق أبواب التعليم والموسيقي وخدمة الحكومات المختلفة من غير نجاح أو توفيق إذا به نطق في أول خطاب ألقاه كانت كلمة هي القيامة في وجه الترف ونطق بها قوية صريحة اهتزت لها عروش الأغنياء والمترفين".<sup>2</sup> عاش روسو بين الشعب الفرنسي وتأقلم معه أعجب بثقافتهم إلا أنه لم يكن يرضي عن الحالات الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها الفرنسيون، ولذلك حاول إعطاء فكرة جديدة للإنسان من خلال خطابه في العلوم والفنون عام 1750.

<sup>1</sup> راسل، برتراند، حكمة الغرب في عرض الفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، المرجع سبق ذكره ص62.

<sup>2</sup> هيكل، محمد حسن، جون جاك روسو حياته وكتبه، دار المعارف، د ط ، القاهرة، مصر، ص 10 .

" يقول جون جاك روسو في كلمته إن الملكية الخاصة والترف والإمعان في الشهوة هي سبب كل التعسات المكدسة التي تقع على رؤوس الفقراء. والتي يحتملها الشعب لما طال إيهامه أنها أصلح الأنظمة للوجود الاجتماعي وانه لا سبيل لتخلص الأغلبية من هذا الشقاء إلا بعودة الإنسانية إلى حالتها الطبيعية كانت هذه الكلمة هي الفكرة القادة في كتب روسو كلها وعلى أساسها وجه النقد المر لما اعتقده خروجاً على الطبيعة من علوم وفنون ومناظر وسوء تربية الناشئة وتحكم الاستبداد في رقاب البشر." <sup>1</sup> روسو هنا ينتقد حضارة عصره وكان يدافع عن الفقراء والمساكين من الشعب الفرنسي، حيث يري أن البذخ والترف الذي يعيش فيه نبلاء فرنسا يستطيع أن يغذي ويعالج ألف فقير الذين يموتون كل يوم من الجوع والمرض المزمن.

" كان روسو يلقب " بالمواطن" في نوادي باريس الذي كان يتردد لها فقد كان إنساناً جمهورياً يتحدث عن جمهوريته دائماً حيث يري روسو أن جميع الفوارق الاجتماعية التي تفرق بين الناس في باريس هو ليس معترف بها فطالما نادي بالمساواة بين جميع المواطنين." <sup>2</sup> يبدو أن الفيلسوف جون جاك روسو كان قريباً من الشعب الفرنسي لأنه كان يدعو إلى المساواة ويجتنب التفرقة بين الناس.

"لقد كان لأفكار جون جاك روسو التأثير الواضح على عقلية الشعب الفرنسي أثناء الثورة الفرنسية من خلال تسليط الضوء حول مسألة مهمة ألا وهي الحرية التي كانت غائبة في فرنسا أبان النظام القديم الذي كان ينتهج الاستبداد من خلال الحد من حرية المواطنين وبفضل أفكار روسو، تم حل هذه المشكلة من خلال أفكاره عن الإرادة العامة وبذلك فإن الثورة جعلت من أهم مبادئها الحرية بالإضافة إلى الإخاء والمساواة." <sup>3</sup> المقصود هنا ان جون جاك روسو قد أثر على الشعب الفرنسي من خلال تكلمه عن الحرية التي كانت مسلوحة في الأمة الفرنسية، وتكلم

<sup>1</sup> \_ هيكل، حسن، جون جاك روسو حياته وكتبه، المرجع سبق ذكره، ص 10.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 98.

<sup>3</sup> \_ عوض، بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، جامعة عين شمس، قسم الفلسفة كلية الآداب، القاهرة، مصر، 2016، 2017، ص 16.

في بداية كتابه العقد الاجتماعي عن الإرادة العامة حيث أن إرادة الأفراد هي جزء لا يتجزأ من الإرادة العامة.

"حيث استند روسو في أفكاره على فكرة أن الإنسان ولد حراً ولكن نراه في أغلال من حديد، ولا بد للسلطة أن تكون في يد الشعب ليقرر مصيره دون تسلط من أحد وعلي هذا الأساس بني نظريته في العقد الاجتماعي التي تركز علي قاعدة أن الناس جميعاً سواء من خلال الإرادة العامة لتقييم الحرية والمساواة والعدالة." <sup>1</sup> يري روسو أن السلطة في المجتمع يجب أن تكون في يد الشعب حتى يكون كائناً أخلاقياً ويستطيع أن يعيش بحرية ويؤدي واجباته ونبذ كل أوجه الحكم المطلق لأن في رأيه يحد من تطور الفرد في المجتمع.

"كان لي روسو موقف معاد للديانة المسيحية إذ أنه كان يهاجمها هجوماً شديداً، حيث دعا إلي الدين المدني عقائده بسيطة تقتصر علي الإيمان بوجود إله حكيم، وحياة أخري، وقداسة العقد الاجتماعي، والإيمان بالقوانين والتسامح وعدم التعصب وكان هذا واضحاً في انعكاس هذه الأفكار علي رجال الثورة الفرنسية." <sup>2</sup> رفض روسو رفضاً تاماً للديانة المسيحية ودعي غلي الدين المدني حيث أن الدين المدني يتمتع بالبساطة في قوانينه إذ أن أهم قانون فيه وجود إله حكيم يحكم بين البشر بالعدل والمساواة.

تتلخص أهم أفكار روسو في الثورة الفرنسية علي النحو التالي: <sup>3</sup>

- طرح روسو تصوراً رائداً في الفكر السياسي الحديث.
- اعتمد علي نقد الاستبداد بجميع أشكاله (المطلق والمستنير)
- دعي إلى المساواة والحرية وأيد مبدأ فصل السلطات
- اعتبر العلاقة بين الحاكم والمحكوم تكون وفق عقد اجتماعي

<sup>1</sup> \_عوض، بالقاسم علي يونس ، دور الفلاسفة في قيام الثورة الفرنسية ، المرجع سبق ذكره ص 16.

<sup>2</sup> \_المرجع نفسه، ص 16.

<sup>3</sup> \_المرجع نفسه، ص 18، ص 19.

المبحث الثاني: معالم فكر السياسي عند روسو

المطلب الأول: فكرة العقد الاجتماعي عند \*جون جاك روسو

❖ تعريف العقد :

قد عرف أندري لالاند في موسوعته الفلسفية "العقد بأنه اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما بالقيام أو عدم القيام بشيء وفي الفلسفة بالنحو أخص يقال عقد على ما يكون ثنائي الطرف أو متعدد الأطراف أي ما يتضمن التزامات أو تعهدات متبادلة. وتشير أيضا إلى معني ضرورة اتفاق أو ميثاق لقيام المجتمع السياسي.<sup>1</sup>

أما جميل صليبا في معجمه الفلسفي يري بأن العقد عدة معاني وهي:

"العقد في القانون هو اتفاق شخصين أو أكثر، يلتزم كل منهم بمقتضاه دفع مبلغ من المال أو أداة عمل من الأعمال لشخص آخر، أو لعدة أشخاص، والعقد في فلسفة الأخلاق هو ارتباط حر بين شخصين أو أكثر وهو مرادف للعهد، وعقد العمل هو اتفاق يلتزم الشخص بمقتضاه أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر معين، أما العقد الاجتماعي فهو اتفاق افترض بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في حالة الطبيعة أن يعهد في شخصه، وفي كل ما لديه من قدرات إلى إرادة العامة."<sup>2</sup> نري هنا من خلال هاذين التعريفين أن أغلب

\* \_جون جاك روسو: 1712\_ 1778 مفكر فرنسي ولد بجنيف تميزت حياته روسو بالشقاء يعد وفاته والدته وبعد معاناة كبيرة في حياته استقر به المطاف في باريس حيث حاول تدوين اسمه في الموسيقي ، ثم غادر إلي البندقية وعمل سفير في فرنسا ثم نشر خطابه في العلوم والفنون في سنة 1750 أما في سنة 1754 ، أصدر خطاب في التفاوت ، وفي سنة 1758 كتب رسالة إلي الدامير في المسرح ، وفي عام 1716 كتب العقد الاجتماعي ، وأخيرا كتاب إميل سنة 1762 ، أنظر إلي ، إميل بريه ، تاريخ الفلسفة ، تر ، جورج طاربيشي ، جز: 5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993 ، ص ص 191، 192.

<sup>1</sup> \_لالاند، ندري، موسوعة أندري لالاند الفلسفية تعريف خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1 ، منشورات بيروت ، ط2، 2001، باريس ، ص 224.

<sup>2</sup> \_صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، جز 1. د.ط ، 1982 بيروت، ص 62.

المفاهيم والتصورات اتفقت علي أن العقد هو عبارة علي اتفاق والتزام شخص أو عدة أشخاص بين بعضهم البعض.

أما لتعريف العقد الاجتماعي اصطلاحاً فهو " جملة الاتفاقات الأساسية في الحياة الاجتماعية وبمقتضاها يضع الإنسان يضع الإنسان نفسه وقواه تحت إرادة المجتمع"<sup>1</sup>. أو هو أيضاً" تلك الفلسفة التي تحاول تفسير نشوء المجتمعات وتطور الإنسانية، كما أنها تبحث وبشكل أساسي في علاقة الدولة والسلطة هي نتاج اتفاق عقده الجماعة على تشكيل هذه الدولة التي ستدير حياتهم وتقدم لهم الخدمات وتفض النزاعات بينهم وتحميهم من الأخطار الخارجية والداخلية. وهذه النظرية تبناها ثلاث فلاسفة ومفكرين جمعهم قواسم مشتركة عديدة في تفسيرهم لها وهم توماس هوبز ، وجون لوك ، وجاك جون روسو"<sup>2</sup> وهي " نظرية فلسفية براد بها تفسير فكرة أصل الدولة وقيامها ، ومفادها أن الدولة قامت نتيجة لتعاقد تم بين الشعب والملك بشروط معينة ، وأية مخالفة من جانب الملك لهذه الشروط تعتبر مبرراً لفسخ العقد الاجتماعي الذي يفترض التخلي الناس عن حالة الفوضى ليكونوا المجتمع الذي يريدونه."<sup>3</sup>

أ: مفهوم العقد الاجتماعي عند روسو

### 1: الحالة الطبيعية عند روسو

"ينطلق جون جاك روسو في فلسفته من أطروحة الحالة الطبيعية السابقة لظهور القوانين والدولة. وهو يؤكد منذ البداية علي أن الرحلة الطبيعية هي مرحلة افتراضية فقط، علي اعتبار أنها لا يمكن أن تصبح واقعية أو خيالية لأن الشواهد و الوثائق التاريخية. لم تكشف عن وجود مرحلة تاريخية بهذه التسمية "الحالة الطبيعية" لكن علي الرغم من ذلك فأن الانطلاق من هذه

<sup>1</sup> \_مختار محمد ،مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب للنشر،مجلد1، ط1 ، 2008القااهرة ، مصر،ص123.

<sup>2</sup> \_ عبد المجيد ، مكي ، العقد الاجتماعي أسس النظرية وأبرز المؤسسين، مجلة أهل البيت، العدد 1، ص288.

<sup>3</sup> \_دوي أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة البستان للنشر، د ط ، بيروت ص 383.

المرحلة يبقى ضروريا لإبراز كيفية الانتقال من حالة إلي أخرى.<sup>1</sup> المقصود هنا في رأي روسو أن استند إلي فكرة الحالة الطبيعية لكي يستطيع شرح الانتقال من حالة طبيعية إلي حالة اجتماعية لدي الإنسان، لكن روسو يري أن هذه الحالة ما هي غير مرحلة افتراضية فقط لأن التاريخ لم يذكرها من قبل.

"يذهب جون جاك روسو في تصوره لحالة الطبيعية من خلال اعتقاده بأن الإنسان طيب بطبعه، وأن الطبيعية أو الفطرة هي ما جبل عليه الناس من غرائز وإحساسات، فمعني هذا أن الإنسان طيب بطبعه وأن السعادة ترجع للناس إذا استمعوا إلي الطبيعة، وهو أن السعادة ترجع لهم إذا هم تركوا كل نتاج الفكر وما أبدعه من مدينة وحضارة، ورجعوا إلي وحي الطبيعة الأولي و ما تدعوا إليه من بساطة وسذاجة." <sup>2</sup> يري جون جاك روسو أن الإنسان طيب بطبعه أي أن البشر لم يكونوا متوحشون في المرحلة الطبيعية بل كانوا يعيشون بسعادة .

ومن هنا يقول جون جاك روسو "أيتها الطبيعة أنت يا أماه، ها أنا بين يديك أتلقني الحب والرعايا"<sup>3</sup> يبدو أن روسو يري أن الطبيعة هي الأم التي تعتني بالإنسان عناية كاملة وتسهر علي راحته حيث يري جون جاك روسو أن الإنسان كان يعيش في حالة الطبيعة في سعادة وخير وطمأنينة، أما بالنسبة إلا المظاهر التي تعكسها من ظلم وبطش ورياء هي صفات الحالة السياسية والاجتماعية الحضارية.

يفترض روسو أن أولي الاجتماعات وأقدم أشكالها هي الأسرة، إلا أن هذا يتلاشي بانتهاء الحاجة " وذلك لأن أكثر المجتمعات ضربا بالقدم، إنما هو مجتمع الأسرة، هذا ما إن ارتباط بالأولاد بأبيهم لا يدوم طيلة الوقت الذي في أثنائه إليه لحفظ بقائهم، وما أن تنفك هذه الرابطة الطبيعية، وقد أصبح الأولاد في حل من طاعة أبيهم التي كانت واجبة عليهم. دخلوا جميعا إلي

<sup>1</sup> \_ عنان، محمد عبد الله، المذاهب الاجتماعية الحديثة، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، ط 4 ، 1959، القاهرة ، ص 45.

<sup>2</sup> \_ هيكل، محمد حسين، روسو حياته وكتبه مرجع سبق ذكره، ص5.

<sup>3</sup> \_ روسو، جون جاك، إميل، تر عادل زعتر، دار المعارف، ط 1 ، 1936، القاهرة. ص40.

طور الاستقلال، وهكذا فإن الأسرة نفسها لا تستمر باقية إلا أن على وجه الاتفاق<sup>1</sup>. يقصد روسو هنا أن البشر في الحالة الطبيعية اجتمعوا لكن كان اجتماعهم بصفة مؤقتة داخل مفهوم الأسرة، حيث هذه الأخيرة تعتبر أول المجتمعات على الإطلاق. لكن سرعان ما تفرقت هذه الأسرة لأن أساسها هو الحاجة والمصلحة، أي حاجة الأولاد للأبوين لكن بمجرد كبرهم واستطاعتهم الاعتناء بأنفسهم تنفك هذه العلاقة والاجتماع.

"والمقصود من ذلك أن بأن الأسرة تمثل النموذج الأول للمجتمعات السياسية. حيث يشكل الزعيم صورة الأب، والشعب صورة الأولاد لما كانوا جميعهم مولودين متساوين وأحرار فإنهم لا يتنازلون عن حريتهم إلا من أجل منفعتهم، والفرق هو أن الأب في الأسرة يدفعه حبه لأولاده لما يبتذله من عناية بهم، في حين أن شهوة القيادة في الدولة تقوم مقام هذا الحب الذي يملكه الزعيم، وهكذا فالأسرة هي أقدم نموذج لحالة طبيعية.<sup>2</sup> يعني هذا أن روسو بالرغم من أنه يقر بان الأسرة هي أقدم أشكال البشرية، إلا أن هذا المجتمع هو فقط مجتمع مؤقت وظرفي ينتهي بانتهاء الحاجة إليه.

" يفترض روسو أن الإنسان كان يعيش وحيدا لا يعرف أولاده ولا لغة للتواصل حتى. حيث كان يبحث عن إرضاء حاجته الطبيعية فقط. إذ يقول " أن الإنسان كان متوحدا في الغابة لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده ولا لغة ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة من حيث أنه لم يكن له مع أفراد أنواعه أي علاقة يمكن أن تكون علاقة أخلاقية كان حاصلا بسهولة على وسائل إرضاء حاجاته الطبيعية.<sup>3</sup> نلاحظ أن روسو أعطي مفهوما للحالة الطبيعية مخالف عن المفاهيم التي رأيناها عند الفلاسفة من قبل، بحيث أن جون جاك روسو يري أن الحالة الطبيعية هي تلك الحالة الأولى قبل نشوء مجتمعات حضارية حيث أن الإنسان فيها كان يعيش حياة شبيهة بحياة الحيوانات من حيث بحثه عن غذائه أو المحافظة على بقاءه ووجوده، لكنه ليس حيوانا متوحشا عدوانيا بطبيعته. ومن هنا يقول روسو "الخيرات الوحيدة التي يعرفها في

<sup>1</sup> \_ روسو، جاك جون، العقد الاجتماعي \_ أو مبادئ الحقوق السياسية. تر عبد العزيز لبيب، المنظمة العربية للترجمة والنشر ط1، 2011، بيروت، ص79 ص80.

<sup>2</sup> \_ وقيع الله، محمد، مدخل الي الفلسفة السياسية، المرجع سبق ذكره، ص 180.

<sup>3</sup> \_ كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع سبق ذكره، ص 212.



هذا العالم هي الطعام و الأنتى والراحة، أما الشرور التي كان يخاف منها هي الجوع والوجع<sup>1</sup> معني هذا أن الإنسان الطبيعي كان محبا لرغباته الشخصية مثل الطعام والراحة وأنه يخاف الجوع والجوع والموت وأهواله فأكبر مكسب يبعده عن الصفة الحيوانية أن الإنسان هو استعداداه التام و الدائم للشفقة والتسامح .

كان الإنسان في مرحلة الطبيعية يتميز بالحرية التي تسمح له بتحقيق كل أهدافه بدون قيد أو شرط يكبل إرادته حيث يؤكد روسو في كتابه "أصل التفاوت بين البشر". "إن أفراد المجتمع قد عاشوا أحرارا وصالحين طالما قنعوا بكوخهم البسيط ، و اكتفوا بلباس الجلود ثيابا وبالريش زينة ، أي طالما لم ينشغلوا إلا بالأعمال التي في مقدور فرد واحد القيام بها، لكن ما أرادت الإنسان حاجة إلي أن يؤازره آخر حتى اختفت المساواة و ظهرت الملكية وغدا العمل ضروريا"<sup>2</sup> و"يري روسو أن الحرية هي التي تميز الإنسان عن الفهم الموجود في الحيوان إلي حد ما، حيث كان إيمان روسو في حالة الطبيعية أكثر ما ذهب إليه هوبز بأنها حالة تسودها القوة والأنانية ، فهي حالة عدل ومساواة"<sup>3</sup> يعني هذا إن روسو قد خالف الفيلسوف توماس هوبز بما ذهب إليه حيث يري هوبز الحالة الطبيعية هي حالة عنف وطمع بينما روسو يري بأن الحالة الطبيعية هي حالة مساواة بين الناس .

"وبهذا فإن جون جاك روسو انتهى إلى أن حالة الطبيعة عند البشر، لم تكن حالة حرب الكل ضد الكل كما تصورها هوبز، وإنما حالة سلام ووثام تام، واستمرت كذلك إلى أن تقدمت العلوم وتأصلت الحضارة فزرع معها الشر، واستمر الشجار بين بني البشر."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس، تر، بولس غانم، موفم للنشر والتوزيع، د ط ،1991،الجزائر ،،ص 73.

<sup>2</sup> \_ روسو ، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس، المصدر سبق ذكره ،ص 78.

<sup>2</sup> \_ فضل الله: محمد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر الغربي الحديث، مرجع سبق ذكره ،ص 124.

<sup>4</sup> \_وقيع الله، محمد ،مدخل الي الفلسفة، المرجع سبق ذكره ،ص 178.

إن الفرد في فلسفة جون جاك روسو طيب بطبيعته لا يؤذي غيره، فالإنسان باستطاعته أن يتخلص من الغرائز الحيوانية، ومن ذلك يستطيع هذا الإنسان أن يطور حياته بما يكتشفه ويخترعه، وبذلك يمكن أن يعيش هذه المرحلة من حياته سعيدا ومتمتعاً بحقوقه الطبيعية من حرية ومساواة مع غيره. لكن هذه الحياة لم تدم طويلاً في رأي روسو وذلك بسبب العوامل الطبيعية. وذلك في قوله "كان الجنس البشري كلما ازداد انتشاراً ازدادت المتاعب مع الناس باختلاف الأراضي و المناخيات والفصول أمكنه إلى تبديل طريقة معيشته ، رب سنين مجدية ،وفصول شتاء طويلة قاسية أتت علي الأخضر و اليابس و ألجأتهم إلي التماس وسائل جديدة للعيش"<sup>1</sup> يتضح من ذلك أن العوامل الطبيعية لها دخل كبير في محاولة ارتباط الإنسان الطبيعي مع غيره من بني جنسه ، فهذه العوامل الطبيعية القاسية والصعبة دفعت الإنسان إلي البحث في طرق جديدة لتلبية حاجياته، فاخترعوا الصيد برا وبحرا، واعتمدوا علي تربية الحيوانات الأليفة وجعلها مصدر غذاء ،ثم أسهمت الزلازل والفيضانات كذلك في قلب الاجتماع من صفة مؤقتة إلي صفة مستديمة.

## 2: الحالة الاجتماعية عند روسو:(حالة العقد الاجتماعي)

بعدما كان الإنسان الطبيعي يعيش وحيدا منفردا اضطرته الحياة الصعبة إلي الاستعانة بغيره من بني جنسه، حيث أصبح الاجتماع ضرورة ومن الصعب العودة إلي الحياة الطبيعية الأولى ويرى جون جاك روسو أن الانتقال من الحالة الطبيعية إلي الحالة الاجتماعية لا يكون مباشرة بل يكون بين الحالتين أو المرحلتين فاصل زمني.

يقول جون جاك روسو "أفترض انتهاء الناس في نقطة معينة التي تهدد حياتهم وسلامتهم في الحالة الطبيعية، حيث يحاول الإنسان الطبيعي بكل قوى عنده أن يدافع عن حياته واستمراره في الوجود، وهناك لا يستطيع فرد واحد أن يواجه حياة الطبيعة القاسية منفردا، حيث سيكون

<sup>1</sup> \_ جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، تر بولس غانم، المصدر سبق ذكره، ص 78.

الهلاك له إذ لم يستعن بغيره من بني جنسه ليغير طراز حياته.<sup>1</sup> " معني هذا أن روسو يري بأن الإنسان في الحالة الطبيعية لا يستطيع أن يحافظ علي وجوده في الحياة الصعبة إلا إذا استعان بغيره من البشر حيث يقول جون جاك روسو في ذلك " فيما أن الأفراد لا يمكنهم إنتاج قوى جديدة، و لكن يمكنهم فقط أن يتحدوا و أن يديروا ما يملكونه من قوى، فلم يبق لهم سبيل للمحافظة علي وجودهم إلا أن ينشأ بتكتلاتهم مجموعة من القوى يمكنها التغلب علي مقاومة تلك العقبات وتحريك هذه القوى بدافع واحد وأن تجعلها تفعل بتناسق معها "<sup>2</sup>

ويقول أيضا "إن هذا الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية يحدث في الإنسان تغيرا بارزا"<sup>3</sup> المقصود هنا أن هذا الانتقال يغير في الإنسان تغيرا بارزا بحيث يصبح ذلك الإنسان الطبيعي الذي كان يشبه الحيوان في تصرفاته الغريزية يتغير ليصبح كائنا عاقلا اجتماعيا وأخلاقيا، وأنه باختلاطه مع الآخرين من البشر في الحالة الاجتماعية تتغير حياته وسلوكاته. وبهذا فإن صفة الاجتماع البشري أصبحت ضرورية.

يري روسو أن المجتمع المدني لا يلزمه سلوك الإنسان الطبيعي قدر ما يتطلب سلوكا أخلاقيا ، لأن لإنسان الطبيعي بعد انتقاله إلى الحياة المدنية يحتاج إلى حياة سياسية بصورة لا مناص لها وتجعل عواطفه المتأججة حديثا غير مناسبة للمجتمع ،كما أن المجتمع الذي يقوم علي مصلحة كل شخص لا يذهب بتلك العواطف بعيدا ، وذلك لأن مصلحة الفرد تحدها عواطفه و إن كانت عواطفه تهتم فقط بمصلحته فإنها ستؤدي به إلي والفوضى لا محال" وهذا هو أساس المشروع الذي يقدمه روسو في كتابه العقد الاجتماعي ففيه يحل مشكلة التي يضعها الصراع بين الدولة والفرد والمصلحة الذاتية والواجب ."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي، المصدر سبق ذكره، ص 35.

<sup>2</sup> \_ روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي، المصدر سبق ذكره ، ص 92.

<sup>3</sup> \_ المصدر نفسه، ص 36.

<sup>4</sup> \_ شتراوس، ليو، تاريخ الفلسفة من جون لوك إلي هايدغر، تر محمود سيد أحمد، المجلس للأعلى للثقافة، 2005، د ط ، ص

يؤكد جون جاك روسو من خلال كتبه العقد الاجتماعي أنه يريد أن يقيم مجتمع مدني من أجل تخطي الصعاب التي كان الإنسان يعيشها في المرحلة الطبيعية حيث يقول "أريد أن أبحث فيما إذا كان يمكن أن تكون في النظام المدني قاعدة لإرادة شرعية و أكيدة وذلك بتناول البشر كما هم والقوانين كما يمكنها أن تكون"<sup>1</sup> المقصود هنا أن الاجتماع أصبح ضرورة أساسية في بناء المجتمع المدني حيث أراد جون جاك روسو أن يبحث عن مجتمع مدني حيث يتمتع فيه الأفراد بحقوقهم في ظل الجماعة من أجل تجاوز المخاطر والصعوبات التي كان يعيشها الفرد في الحالة الطبيعية الأولى .

حيث إن شكل الاجتماع الذي يرمي إلى روسو " من شأنه أن يدافع عن شخص شريك فيه وعن أملاكه وأن يحميها بكل ما يتوفر من قوة مشتركة، وإذ يتحد كل واحد مع الجميع فإنه مع ذلك، لا يطيع إلي نفسه، ويضل حرا بما كان قبل إذن هذا هو الشكل الأساسي الذي تكفل العقد بجله"<sup>2</sup> يعني أن العقد الاجتماعي عند روسو هو يبرم بين الشعب مع بعضه البعض، فالواحد منهم يتحد مع الكل، وهذا الاتفاق (العقد الاجتماعي) لا يمكن أن يكون صحيحا إلا إذا وافق عليه الفرد. وبموجب هذا العقد يجب أن يتنازل كل أفراد الشعب عن حقوقهم للمجتمع، وهذا الشرط يجب أن يطبق على الجميع بالتساوي، وذلك من دون أن يفقد أي فرد من أفراد المجتمع حقوقهم وحريرتهم.

نجد جون جاك روسو يلخص مفهوم العقد الاجتماعي بقوله "إن كلا منا يضع شخصه وقوته تحت إرادة العامة العليا ويصبح كل عضو جزء لا يتجزأ منها"<sup>2</sup> يتصور روسو أن يعملوا على تقرير مصيرهم المشترك المرتبط بالفرد مع السلطة الاجتماعية التي تعمل على حفظ حقوق الشعب وحمائتهم من كل خطر.

<sup>1</sup> \_روسو، جون جاك ، العقد الاجتماعي .المصدر سبق ذكره، ص 33.

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه ، ص 93

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه، ص 95.

"أن عن طريق الميثاق الاجتماعي يحدد بموجبه الناس طريقة عيشهم التي قد أصبحت مهددة في المرحلة الطبيعية، وذلك يكون عن طريق خلق قوى تفوق ما كانت عندهم، وإنما يقومون بجمع قواهم كلها من أجل خلق عمل متناسق يقاومون من خلاله كل ما يهددهم من مخاطر."<sup>1</sup>

معني هذا أن الإنسان يستطيع أن يغير مسار حياته التي كانت مهددة في الحياة الطبيعية، فالميثاق الاجتماعي يعتبر مرحلة مميزة في عملية الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة الاجتماعية.

يري روسو أن العقد الاجتماعي يرتكز علي شرط أساسي وهو التنازل الكلي من طرف كل فرد كان طرفا في العقد علي حقوقه، وذلك في صالح الشراكة كلها وبذلك يكون كل المتعاقدين الشركاء في المجتمع متساوين في الوضعية و من هنا يصعب علي أي أحد أن يجعل الحياة صعبة ومكلفة وهذا ما يؤكد روسو في قوله "التنازل الكامل من جانب كل مشارك عن جميع حقوقه لجماعة كلها، إذ بما أن كل شخص بدأ قد قدم نفسه بأكملها وأن الحالة المتساوية بالنسبة للجميع وبالنظر إلي التساوي الحالة بالنسبة للجميع فلا مصلحة لأحد بأن يجعلها مكلفة للآخرين."<sup>2</sup> نفهم من قول روسو أن العقد الاجتماعي يقوم علي اتفاق الناس وقبولهم شروط العقد وباعتبارهم متساوون في الحقوق والواجبات داخل المجتمع. لأنهم جميعا وافقوا علي أهم بند في العقد وهو التنازل الكلي علي كل حقوقهم ومصالحهم لهيئة أو جماعة. ويرى روسو أن الالتزام بالعقد هو أمر أساسي لبناء دولة سليمة تسهر علي سلامة الأفراد.

<sup>1</sup> زروخي، إسماعيل، دراسات في الفلسفة السياسية، المرجع سبق ذكره، ص 224

<sup>2</sup> روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي، تر: ذوقان قرقوط، دار القلم، د ط، بيروت لبنان، مرجع سبق ذكره ص 49.

"تعتبر الاتفاقات هي أساس كل سلطة تشريعية، وهي دعامة المجتمع المدني فبفضل هذا العقد تتكون جماعات تدافع عن نفسها وعن كل عضو مساهم في ذلك العقد، وبالتالي يصبح الإنسان حراً كما كان من قبل، فكل فرد في المجتمع يقدم كل قدراته تحت الإرادة العامة، وهكذا تنتج هيئة معنوية ومؤلفة من العديد من الأفراد." <sup>1</sup> المقصود هنا أن من خلال العقد الاجتماعي تم نقل الإنسان من حالة طبيعية بسيطة غير منظمة وساذجة إلى حياة مدنية اجتماعية يعمها النظام. وفي ضمن هذا التغير الجذري للإنسان يصبح هذا الأخير تحكمه معايير أخلاقية وإنسانية واجتماعية بعدما كانت تحكمه غريزته فقط.

ب\_ أسس العقد الاجتماعي:

### 1: الحق الطبيعي

يقول جون جاك روسو "إن أول قوانين الإنسان هو قانون محافظته بقاء لذاته" <sup>2</sup> يعني هذا أن روسو يرى أن الإنسان في حالة الطبيعة كان يتمتع بحقوق وأهم هذه الحقوق هو "الحق في الحياة" حيث يرى روسو أن البشر في حياة الطبيعة لا يتعرضون لبعضهم البعض بل بالعكس، الفرد منهم يتعاطف مع الآخر ولا يرضي له ملا يرضي لنفسه وهذا راجع إلى غريزة المحافظة على الذات.

ويقول روسو "أن فكرة الحق وعلي الخصوص فكرة الحق الطبيعي هما فكرتان خاصتان بطبيعة الإنسان فمن هذه الطبيعة إذن ومن تكوينه يجب استخلاص مبادئ هذا العلم" <sup>3</sup> يؤكد روسو أن طبيعة الإنسان هي السبب في صعوبة تعريف الحق الطبيعي أي يعني أن فكرة الحق الطبيعي هي متعلقة بطبيعة البشر. فجميع الحقوق الطبيعية التي يتمتع بها الإنسان هي تخضع لتغيير وتطور عبر التاريخ وحسب الحالة الفكرية والتاريخية للإنسان.

<sup>1</sup> \_ المستكاوي، نجيب، جون جاك روسو حياته مؤلفاته وگرامتية، دار الشروق، ط1، 1989، القاهرة، ص 303.

<sup>2</sup> \_ روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر عادل زعيتر، المصدر سبق ذكره، ص 55.

<sup>3</sup> \_ المصدر نفسه، ص 24.

حيث يؤكد أن الإنسان في الحالة الطبيعية كان يعيش علي حسب غريزته وأن الحق الطبيعي هو غريزي يتعلق بالإنسان، وكذلك في قول روسو "إن الإنسان ينقاد لما في الطبيعة من غرائز صافية"<sup>1</sup> يري روسو هنا ان البشر في الحالة الطبيعية كان لهم طبيعة خيرة وبسبب طبيعتهم وغريزتهم أصبحوا يتمتعون بكل الحقوق، وهذا ناتج في رأي روسو عن الحياة الطبيعية المسالمة للإنسان. كما دافع جون جاك روسو عن الحق الطبيعي أو حق الإنسان في الحياة، حيث يري روسو أن الإنسان كان يتعرض لمعارك الفردية والحروب والمبارزات وهذه العادات تهدد بقاء البشر وتؤدي إلى انقراضه حيث يقول روسو "... وأول شعور أحس به الإنسان كان شعوره بوجوده وأول عناية بذلها هي عنايته ببقائه"<sup>2</sup> المقصود هنا أن أي إنسان له صفة حقوقية مطلقة بمجرد أن له صفة إنسانية بشرية.

حاول جون جاك روسو تحليل الأساس الذي يقوم عليه الحق ، فانطلق من اعتبار حالة الطبيعة مجرد افتراض وليست حالة واقعية كما أن هذه الحالة تتميز بالسلم والخير ،حيث يري أن القوة لا تؤسس الحق كما يري توماس هوبز لأن الربط السببي بينهما غير سليم من الناحية المنطقية ،فالقوة لا توجد الحق دائما وتضمنه بالضرورة .يقول روسو "إن أقوى الناس لا يكون قويا بالشكل الذي يمكنه من أن يكون دائما السيد ،ما لم يحول قوته إلي حق ، والطاعة إلي واجب"<sup>3</sup> يرفض روسو أطروحة الحق الطبيعي القائم علي القوة فالحق في نظره يقوم علي القوة المشروعة لا علي القوى المرتبطة بالقوة الجسدية ،فعندما نتحدث عن الحق نجده مرتبط بالغايات الطبيعية كالسلم والقانون والعدالة ، ولا يمكن ربطه بالطبيعة.

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس ،تر عادل زعيتر ،المصدر سبق ذكره ،ص 70.

<sup>2</sup> \_ المصدر نفسه، ص 86.

<sup>3</sup> \_ المصدر نفسه ، ص 29.

## 2: الحرية

افتتح روسو كتابه الشهير العقد الاجتماعي بمقولة " ولد الإنسان حراً إلا أنه مكبلاً بالأغلال علي ذلك النحو يتصور نفسه سيد الآخرين الذي لا يعد و أن يكون أكثرهم عبودية."<sup>1</sup>، يعبر روسو هنا عن طبيعة الإنسان وحرية، إذ يري روسو أن حرية الإنسان مرتبطة بماهيته، كما أن روسو يعرف بمفهوم الحرية ويقول بأن الحرية هي تتجلي في سلوك البشر العفوي وهذه الأخيرة هي نابعة من ذات الإنسان وغرائزه وسماها روسو بالحرية البهيمية. حيث يري روسو أن الفرد لا يستطيع الاستغناء عن حريته فهي جزء لا يجزأ منه. ولا يجوز الانتهاك الحرية وتعرضها للاستبداد فهذا يتعارض مع الطبيعة البشرية، فانعدامها هو انعدام الإنسانية فالبشر كانوا يتمتعون في الحالة الطبيعية بحرية الكاملة لكن بمجرد انتقالهم إلى الحياة المدنية فإنهم يفقدون حريتهم الطبيعية ويكتسبون الحرية المدنية، التي تكون محدودة بالإرادة العامة. وهذا نجده في قول روسو "إن تخلي المرء عن حريته هو تخليه عن صفته كإنسان ، عن حقوقه في الإنسانية بل عن واجباته ،... إذ إن تنازلاً كهذا مناف لطبيعة الإنسان وانتزاع كل حرية من إرادته هو انتزاع كل أخلاقية من أفعاله ."<sup>2</sup> نجد روسو يؤكد عن الحرية الخاصة في كتابه المشهور العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية حيث يؤكد علي أن الأفراد في الحالة المدنية قرروا التنازل علي جميع حقوقهم من أجل العقد الذي أبرموه مع الإرادة العامة وبموجب هذا العقد تنازلوا علي جميع حقوقهم وعلي حرياتهم ، وذلك لأن فكرة الحرية هي المبدأ الرئيسي التي يستند إليها الميثاق الاجتماعي عند روسو، ويركز روسو علي فكرة وهي أن الإنسان عندما يتنازل علي حريتهم فهو لا يعني أن يفقد حريته تماماً ،بل علي العكس من ذلك حيث يبقي الإنسان متمسكاً ومحتفظاً بها كما كان من قبل حيث يقول روسو في ذلك "أن الحرية العامة هي نتيجة طبيعية الإنسان وقانون الإنسان الأول ،وهو أن يعني ببقائه الخاص وواجبه تجاه

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس ، المصدر سبق ذكره ، ص 34.

<sup>2</sup> \_ المصدر نفسه، ص 42.



نفسه وهو أول ما يحرص عليه وهو إذا ما بلغ سن الرشد أصبح سيد نفسه لما يكون بذلك حكما في وسائله الخاصة.<sup>1</sup> يقصد روسو من قوله أنة الإنسان إذ تنازل عن حقه في الحرية فهو لا يتنازل بل هو يربح حرية جديدة تحت مسؤولية الإرادة العامة وهكذا نجد الإنسان دوما يبحث عن الأفضل لنفسه وخاصة عندما يتعلق الأمر بحفظ بقائه و استمراره في الوجود وذلك المحافظة علي حريته . أن الحرية في نظر الفيلسوف جون جاك روسو هي سبب الذي يجعل الإنسان يشعر بالسعادة و الرفاهية ومن هذا يصبح الفرد فعال في الأمة ويحقق أهدافه التي تقوم بتطوير و ازدهار المجتمع .

نجد روسو يربط الحرية بالتربية الطفل، حيث يرى أن يجب أن نترك الأطفال ينشئون أحرارا دون قيود تربطهم، لأن دائما نجد روسو يؤكد على أن الإنسان ولد حرا ولا يجب أن نقيده، فروسو يرى أن الحرية في تربية الطفل هو تركه يعيش بحرية تامة ويفعل ما يحلو له من تصرفات وسلوكات طبيعية فهو في نظر روسو حقه الطبيعي. ويقول في ذلك. " فلنترك الأطفال ممارسة الحرية الطبيعية تلك الحرية التي تبعد الأطفال ولو حين عن الرذائل .."<sup>2</sup> يرى جون جاك أن الحرية هي حق أساسي للإنسان وخاصة الأطفال . كما أن الحرية نجدها أيضا مرتبطة بالخلق عند روسو حيث يرى لأن الأخلاق هي صفة يتميز بها البشر وحدهم وأن العقد الاجتماعي يضيء علي تصرفات الإنسان حرية أخلاقية تمكنه من طاعة كل القوانين الموجودة في العقد والتي تجمع المواطنين ككل ،حيث يقول روسو " إن تأسيس شعب ليس بشيء الأقل من تغيير لطبيعة البشرية وتحويل للفرد الذي يشكل بذاته كلا متكاملا ومنعزلا إلي جزء من كل كبير .. حيث يبذل هذا الفرد ويجعله قويا ."<sup>3</sup> يرى روسو أن الإنسان كان غايته في الحالة الطبيعية أن يصل إلى الخير الأسمى وهو في تحقيقه للسعادة والكمال ،أما بعدما انتقل

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس ، المصدر سبق ذكره ،ص 30.

<sup>2</sup> \_روسو ،جون جاك ،إميل أو التربية الطفل من المهد الي الرشد ،المصدر سبق ذكره ،ص 91.

<sup>3</sup> \_روسو ،جون جاك ،العقد الاجتماعي ،المصدر سبق ذكره ص 94.

هذا الأخير إلي الحياة المدنية الاجتماعية و الصناعية انتشر الفساد الأخلاقي الناتج عن تطور العلوم والفنون .

### 3: المساواة

أما فيما يخص الحق الثالث وهو حق المساواة.فروسو يقول عنها " فمن واجبات الدولة أن تنتشر روح المساواة بين مواطنيها، ولكن لا يجب أن نفهم لمدرک المساواة أن درجات المقدره والثراء يجب أن تكون متساوية بين سائر المواطنين ،بل أن تكون المقدره خالية من العنف و أن لا تمارس إلا بحسب الدرجة ، وبموجب القوانين، ولا يحول الغني صاحب القدره علي شراء الآخرين، ولا يجبر الفقر صاحبه علي بيع نفسه ليحقق القوة من غلوائه والغني من جشعه والضعيف من حقه والفقر من حسده ."<sup>1</sup>يري روسو أن الإنسان في الحالة الطبيعية كان يتمتع بكل الحقوق و أهمها حق الحرية والمساواة حيث أن كل فرد في الحالة الطبيعية هو مساو للآخر ولا يوجد أي معيار لتفاوت بينهم، إلا الاختلافات في القوة الجسدية والعضلية، والقدرات الذهنية والعقلية. والمساواة عند روسو هي مساواة أخلاقية حيث يؤكد روسو على أن يجب علي الدولة ان تحقق للفرد المساواة والعدل، وعندما نادي روسو للمساواة والعدل، فهو هنا لا يقصد المساواة في الثروة والأموال، بل هو يقصد أن لا يكون الغني شديد الغني حتى يستطيع أن يقهر الفقير ويشتريه بأمواله، ولا يكون الفقير شديد الفقر حتى يخضع للغني ويبيع نفسه له.

"ومن هنا تعني المساواة اعتدالا في الثروات، والتأثير من جانب الكبار واعتدالا في الشح والطمع من جانب الصغار، لأنه قد يحدث أن يجعل الإنسان من نفسه عبدا للآخر ولكن تلك العلاقة ليست هبة بل إنها بيعة، وهي أشد الأضرار التي تلحق بالإنسان وهي بيعة نفسه، ومن هنا وجب أن تتغير صفات الناس المختلفة عن الصفات التي كانوا يتمتعون بها في المرحلة الطبيعية."<sup>2</sup>يري روسو أن هدف تطبيق حق المساواة النسبية، هو اجتناب وإزالة كل الفوارق

<sup>1</sup> \_ روسو ،جون جاك ،العقد الاجتماعي ،المصدر سبق ذكره ،ص 79.

<sup>2</sup>\_زرودي ،إسماعيل ،دراسات في الفلسفة السياسية ، المرجع سبق ذكره ،ص 228.

الاجتماعية بين الأفراد الغنية والفقيرة، "أي أن الإنسان المتوحد كان كاملا سعيدا لأن حاجاته قليلة، وإرضائها سريع ولأنه حرا مستقلا مساو لكل إنسان.<sup>1</sup> إن بالرغم من أن هناك اختلافات بين طبقات البشر في الحالة الطبيعية بين الأفراد سواء كانت هذه الفروقات جسمية أو ذهنية عقلية غير أن العلاقات السياسية قد تتباين أو تقلل من هذه المساواة أي أن انتقال الإنسان إلي الحياة المدنية هو الذي أفسد حياته. يقول روسو " إن ما يفقد الإنسان بسبب العقد الاجتماعي هو الحرية الطبيعية ..أما ما يربحه فهو الحرية المدنية وملكية كل ما يوجد في حيازته ."<sup>2</sup> يقصد روسو هنا أن الإنسان يستبدل الحرية الطبيعية التي عرفها في مرحلته الأولى بحرية جديدة يضمنها له العقد، ونلاحظ الفرق بينهما أن الحرية الأولى لا يحددها شيء سوى قوة الإنسان وحده، أما الحرية الثانية "المدنية فتحددها الإرادة العامة أو السلطة.

#### المطلب الثاني: أصل التفاوت بين الناس

يري روسو أن الإنسان بعدما انتقل إلي الحياة الاجتماعية تبدلت اهتماماته كثيرا وتبلورت مفاهيم جديدة له وأبرزها مفهوم "الملكية الفردية" ،هذا الأخير الذي نشر بينهم الصراعات والنزاعات حيث يقول روسو في ذلك "إن أول من سور أرضا قال للعامة :هذا لي، ووجد أناسا علي قسط كبير من السذاجة فصدقوه كان المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني ،ألا كم من جرائم وحروب واغتيالات، وكم من ويلات وبؤس وفضائح كان أبعدها علي الناس وكفاهم شرها ،رجل قد هب فاقتلع الأوتاد وردم الحفرة وصاح بالناس قائلا: حذار أن تصغوا إلي هذا الدجال المحتال فإنكم لهالكون إذ أنتم نسيتم أن الثمار للجميع و أن الأرض ليس لملك أحد ."<sup>3</sup> هذا الخطاب الذي كتبه روسو في كتابه "أصل التفاوت بين الناس "حيث هاجم المجتمع المدني

<sup>1</sup> \_ كرم ، يوسف ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،المرجع سبق ذكره ،ص 213.

<sup>2</sup> \_ لزرق، عزيز، محمد الهالبي، الحرية، دار توفان للبشر، ط1، 2009، المغرب، ص 75.

<sup>3</sup> \_روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر:عادل زعيتير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012، القاهرة، ص 79.

والملكية الفردية معتبرا أنهما هم من زرع في الناس الظلم والفساد وهم في سبب فقدان الناس لحريتهم وظهور التفاوت بينهم .

يري روسو أن التفاوت بين الناس في الحالة المدنية كان يمر علي مرحلتين، وكانت أول مراحل التفاوت حينما امتلك فردا من المجتمع شيئا أول مرة ولم يسمح لأحد أن يردعه في تملكها. يري روسو إن الإنسان هو الذي أوجد قرار الملكية من فقراء وأغنياء وجعل بينهم "لا مساواة" ومن هذا ينتج أن الفرد الغني يفرض سلطته علي الفقراء المساكين، وهذا التفاوت في رأى روسو هو أول ما تأسس عليه المجتمع المدني، حيث يقول روسو في ذلك "إن ما كان أو يجب أن يكون أصل المجتمع والقوانين والتي مهتت الضعيف بقيود جديدة والغني بقوي جديدة، فقضت علي الحرية الطبيعية قضاء مبرما وثبتت قانون التملك والتفاوت إلي الأبد." <sup>1</sup> فالمجتمع المدني الجديد في رأى روسو بعدما كان يقوم علي المساواة والبساطة أصبح في يتأسس علي عدم المساواة الناتجة عن الملكية. إذن نري روسو يميز بين المرحلتين من لتفاوت فنجده يقول " أتصور وجود نوعين للتفاوت في الجنس البشري ،فالنوع الأول وهو ما أدعوه الطبيعي أو الفيزيوي لأنه من وضع الطبيعة، و يقوم علي اختلاف الأعمار والصحة وقوي البدن وصفات النفس أو الروح، والنوع الثاني هو ما يمكن أن أدعوه التفاوت الأدبي أو السياسي لتوفهن علي ضرب من العهد و لقيامه أو لإذن فيه علي الأقل، يتراضي الناس و يتألف هذا النوع من مختلف الامتيازات التي يتمتع بها معظمهم إجحافا بالآخرين ."<sup>2</sup>يري روسو أن توجد حالتين من التفاوت الأول هو الطبيعي أو الفيزيائي حيث هذا التفاوت هو معطي للفرد الطبيعي ،أما التفاوت الثاني وهو التفاوت السياسي أو الأخلاقي الذي نجده مرتبط بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وهذا التفاوت هو معني بطبقتين الفقراء والأغنياء ،حيث تواجه طبقة الفقراء العراقيل

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر، عادل زعيتر، المصدر سبق ذكره ص 96.

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه ، ص 29.

والمشاكل في مجرى حياتها بسبب هذا التفاوت ،بينما الطبقة الاخرى الغنية، فهي تزيدهم قوة ونفوذ علي حساب حقوق الفقراء .

نستنتج من هذا أن الحياة الاجتماعية والتطور الاقتصادي والسياسي أصبح السبب الرئيسي الذي أفسد الإنسان والذي أدى إلى انتشار عدم المساواة والشر والحدق في قلوب البشر، حيث يعتبر هذا الإنسان المدني هو سبب التفاوت الطبقي في المجتمع لأنه هو ما صنعها وليست الطبيعة حيث يقول روسو " كيف يمكنني أن أنعم بالنظر في المساواة التي وصفتها الطبيعة بين الناس، وفي التفاوت الذي أقاموه من غير أن أفكر في الحكمة البالغة التي مزجت بها تلك وهذا مزاجا موفقا في هذه الدولة، فيسعان من أقرب الطرق إلي القانون الطبيعي."<sup>1</sup> نلاحظ من قول روسو أن الحقوق الطبيعية التي كان يتمتع بها الإنسان لم تعد موجودة في الحالة الاجتماعية، وذلك بسبب التفاوت الذي حصل في المجتمع المدني.

" يري روسو أن كل أفكاره وكل المشاكل التي يحاول حلها تعتمد بعض المبادئ الأساسية الثابتة التي تشكل إلى حد ما وحدة في نظام تفكيره العام ورغم التناقضات الواضحة، أي أنه يقصد تلك الفكرة التي تتمثل في ضرورة اعتماد نظام اجتماعي قريب من الحالة الطبيعية وذلك لعدم الوصول إلى الإنسان المتصنع كليا والبعد عن كل ما هو غير طبيعي في نفس الإنسانية."<sup>2</sup> يعني هذا أن روسو بعدما نقل الإنسان الطبيعي من الحالة الطبيعية التي كان يعيش فيها متمتعا بحقوقه جميعا إلى الحالة الحضارية الصناعية وجد نفسه أمام مشكلة أخرى وهي التفاوت بين الطبقتين الغنية والفقيرة ولذلك يري روسو أنه يجب أن يحل هذه المعضلة بالاعتماد على نظام اجتماعي قريب من الحالة الطبيعية التي كان يعيش فيها الإنسان البدائي منذ سنين.

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر، عادل زعيتر، المصدر سبق ذكره ، ص 14.

<sup>2</sup> \_بوصرار، نجمة، الثقافة ومشكلة الطبيعة الإنسانية في فلسفة جون جاك روسو وسيغموند فرويد نموذجان، جامعة محمد بن

أحمد، كلية العلوم الاجتماعية، وهران ، 2018، 2017، ص 138.

المبحث الثالث: الدولة عند جون جاك روسو

المطل الأول: أنظمة الحكم ورأي روسو فيها

تعمل الحكومة مهما اختلفت أشكالها علي حفظ حقوق الأفراد أمنهم في المجتمع، ولها الحق في سن القوانين " حيث يؤكد روسو أن الحكومة هي راعية لحقوق وأمن حياة مواطنيها، ولها السلطة العامة فوق الجميع وهي تحكم بقانون الطبيعة وتستلزم الأخذ بما ينادي بالشرعية، وكل ما ينكر ذلك من أفراد المجتمع، فإنه يميل ناحية إنكار الواقع<sup>1</sup> ومن ذلك نعرض أشكال الحكومات وتقسيماتها:

أولا الحكومة الديمقراطية:

يري روسو " أن الحكومة هي مكنم القوى الوسطية التي علاقتها تؤلف علاقة الكل بالكل، أو قل العلاقة صاحب السيادة بالدولة، ومن الجائز أن تمثل هذا العلاقة الأخيرة بتلك العلاقة القائمة بين الطرفين في تناسب متصل بحيث متوسطها التناسبي هو الحكومة، تتلقي الحكومة من صاحب السيادة الأوامر التي أمر بها الشعب."<sup>2</sup> من خلال هذا نجد أن الحكومة هي لديها مهمة ووسطية بين الدولة والإرادة العامة فهي تعمل عمل يتماشى مع الشعب وفي نفس الوقت مهمتها حفاظ علي الحقوق الطبيعية للأفراد المجتمع منها الحرية والمساواة... الخ

ويذهب روسو علي أنه يجب تقسيم الأنظمة السياسية علي حسب طبيعة السيادة وهذا ما نجده في قوله "يستطيع صاحب السيادة في المقام الأول أن يعهد بأمانه الحكم إلي الشعب كله أو إلي الجزء الأكبر منه بحيث يكون هناك من المواطنين الأفراد، ويطلق هناك هذا الشكل من الحكومة اسم الديمقراطية.. أو انه يستطيع حصر الحكومة بين أيدي عدد قليل بحيث يكون هناك من المواطنين الأفراد أكثر من الحكام وهذا الشكل يحمل اسم الارستقراطية ، وأخيرا

<sup>1</sup> \_ إسماعيل ، محمد فضل الله ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر الغربي الحديث ، المرجع سبق ذكره ،ص 145.

<sup>2</sup> \_ روسو، جون جاك ،العقد الاجتماعي ، المصدر سبق ذكره، ص 147.

يستطيع تركيز الحكومة بين يدي الحاكم الواحد يستمد جميع سلطتهم منه ويدعي حكومة ملكية<sup>1</sup> قام روسو هنا إلي تقسيم الأنظمة السياسية علي حسب طبيعة السيادة، فشرح أول الأنظمة وهي الديمقراطية، التي تمثل نظام سياسي تكون فيه الحكم والسيادة لجميع الأفراد في المجتمع لا للطبقة معينة فقط وتقوم علي ثلاث أسس وهي الحرية والمساواة والعدل. حيث يري روسو أن الأسباب التي دفعت لقيام هذا النظام أنه يريد أن يبين لنا أن النظام الديمقراطي يكون نتيجة لعدم قدرة الناس علي الجمع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. وذلك في قوله "فليس من الخير أن يكون هو منفذها، ولا يتحول انتباه هيئة الشعب عن المسائل العامة إلي أهداف خاصة"<sup>2</sup> يقول جون جاك روسو أيضا " لفظ الديمقراطية في معناه الدقيق، بأن الديمقراطية الحقانية لم توجد قط ولن توجد أبدا فإنه لما يتضاد النظام الطبيعي أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر محكوما. وليس من الجائز أن تتخيل الشعب لا ينفك مجتمعا لكي ينقطع للشؤون العامة."<sup>3</sup> يري روسو أنه لا يوجد معني دقيق وواضح لمصطلح الديمقراطية، كما يري روسو أنه لا يمكن للأغلبية أن تتحكم في الفئة الصغرى من الناس لأن ذلك ليس الحكم الطبيعي الذي يفضلهُ روسو.

حيث يجب أن تتوفر في هذا الحكم الديمقراطي شروط هي كالآتي:

1/ دولة جد صغيرة حيث يسهل اجتماع الشعب وحيث يستطيع كل مواطن أن يعرف مواطنيه.

2/ بساطة كلية في العادات والتقاليد تحول دون تراكم الأشغال وحدث المناقشات.

3/ أكبر مساواة بين المقامات والثروات.

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي المصدر سبق ذكره، ص 116.

<sup>2</sup> \_ المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> \_ المصدر نفسه، ص 158.

4/ عدم البذخ لأنه يعتبر هو سبب في تضخيم الثروات وهو سبب في التفاوت الطبقي بين الفئات الفقيرة والغنية.<sup>1</sup>

يري روسو أن لتحقيق دولة ناجحة ومستقرة يجب إتباع صفات وشروط الحكومة الديمقراطية، ثم يرجع ويقول أن هذه الحكومة هي أكثر عرضة للحروب الأهلية لأنها تتخذ مبدأ القوة في تحقيق قوانينها مما جعلها أكثر عرضة للاضطرابات داخل المجتمع.

ثانيا: الحكومة الارستقراطية.

يري روسو "أن المجتمعات الأولى حكمت نفسها بصفة ارستقراطية، فكان رؤساء الأسر يتشاورون في الشؤون العامة في ما بينهم ،و كان الشبان يسلمون طواعية بسلطة التجربة ، ومن هذا تتأتي الألقاب مثل الكهنة ، والأقدمين ، ومجلس الشيوخ ،ومجلس الأوائل...فإن هذه الحكومة مبنية علي الحكم الداخلي ترجع سيادتها إلي الشعب نفسه ،وهذا أمر لايجب أن ننساه أبدا"<sup>2</sup> يبين روسو من خلال قوله أن رؤساء الأسر هم من يتولون الحكم داخل الدولة ،و أن الحكومة الارستقراطية لا يمكن لها أن تكون خارج أرادة الشعب في اتخاذ قوانينها ونظامها السياسي .

ومن جانب آخر نجد روسو يذهب إلى أن الحكومة الارستقراطية لها عدة أشكال منها<sup>2</sup>

1/"الارستقراطية الطبيعية: فلا تصلح إلا للشعوب يقومون على الفطرة، أي تلاءم الشعوب البدائية

2/الارستقراطية الانتخابية: هي أسوأ ضرب من ضروب لحكم، أي أسوء أنواع الحكومات

3/الارستقراطية الوراثية: فهي أفضل أنواع الحكومات "

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي المصدر سبق ذكره، ص 159

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه، 160

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه، ص 161.



وما يميز النظام الارستقراطي عند روسو:

1/ أنه يقوم على التفريق بين السلطتين التنفيذية والتشريعية

2/ اجتماعات هذه الحكومة تقوم على بشكل أفضل

3/ حصر الوظائف داخل الدولة بعدد قليل من الناس

4/ تدعيم الدولة في الخارج بشيوخ عظماء وحكماء يعرفون قوانين الدولة ، كما يقول روسو

"تدعيم الثقة بالدولة في الخارج بشيوخ أجلا منه بجماعة نكرات أو محتقرين".<sup>1</sup>

نستنتج أن الحكومة الارستقراطية في أشكالها وأنظمتها مصيرها دائما يكون دائما للشعب

فهو صاحب السيادة وفي يديه أن يقرر منتخبه للحكم، والحكم الارستقراطي هو منح لحكم إلي

عدد قليل من الأفراد فيكون عدد المواطنين أكثر من عدد الحكام.

ثالثا: الحكومة الملوكية أو النظام الملكي

يمثل النظام الملكي آخر الأنظمة التي تحدث عنها في كتابه العقد الاجتماعي، حيث يبدأ

روسو حديثه "تعتبر أن هذه السلطة وهي مجتمعة في يد شخص طبيعي، أي في يد إنسان

واحد عيني له الحق وحده في التصرف في القوانين. وهو ما يدعي بالعاهل أو الملك".<sup>2</sup>يري

روسو أن هذا الحكم غير صائب باعتبار أن هذا الحكم هو الوحيد الذي يسن القوانين وسينقلب

مع الوقت إلي طاغية، وبتالي فهذه الحكومة يعلوها القوة والسيطرة وبسببها سيعم الظلم في

المجتمع وفيه ستعلو السلطة التنفيذية علي السلطة التشريعية، التي بدورها تسيطر علي عامة

الشعب ويصبح هذا الشعب مهمل.

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك العقد الاجتماعي، المصدر سبق ذكره ، ص 112.

<sup>2</sup> \_ المصدر نفسه ، ص 163.

المطلب الثاني: علاقة الدين بالدولة

لقد عانى روسو في المجتمع من تلك الطبقة التي كانت تنهب من الحكام الأموال ومن الشعب أيضا بسبب مكانتها في المجتمع وهذه الطبقة هي طبقة المتدينون أو أصحاب الكنيسة " ففي عصر روسو كان هنالك الخلط بين الهويات السياسية ولدينية في كل مكان، لدرجة أن روح المسيحية سادت جدا ، وحيثما اكتسب رجال الدين سلطة مؤسسية ، كانوا يسعون علي بسط نفوذهم علي الأمرء بموجب الأحكام التي تفرضها مكانتهم المقدسة ومن خلال حقوق الحرمان الكنسي التي يتمتعون بها،"1يري روسو أن الدين صار لعبة في يد رجال الكنيسة حيث يتلاعبون بحقهم الكنسي لكي يضغظون علي الملوك ويستخفون بعقول الشعوب.

حيث يقول روسو في نقده للمسيحية واليهودية "إنما خشية الوثنيون قد حدث ،عندئذ كل شيء تغير وبذل المسيحيون لهجتهم وسرعان ما رأينا تلك المملكة المزعومة في الآخر تصبح تحت قيادة رئيس بادي للعيان أعنف حكم استبدادي في العالم ..ومع ذلك أرادت شعوب كبيرة في أوروبا وجوارها أن تحفظ بها الدين وهذا الحكم .."2تلاحظ جون جاك روسو هنا ينتقد كلا من الدين المسيحي واليهودي وعلاقته بالسياسية وذلك حينما انقسم أفراد المجتمع وصار إيمانهم يقف في طريق طاعتهم للسياسية ،حيث يذهب روسو إلي أن انفصال الدين والسياسية يؤدي إلي نزاع بينهما وينتج عن ذلك تحول الدين المسيحي إلي سلطة تمارس كل أشكال الظلم والاستبداد.

وفي مقابل هذا النقد الذي قام به روسو نجده يطرح رأيه في دين آخر وهو الإسلام ويقول "وكان لمحمد نظرات صائبة السياسي وما دام شكل حكومته قد دام في ظل خلفائه فإن هذه الحكومة واحدة تماما وصالحة في هذا، وحين أصبح العرب مزدهرين ومتقفين وبالتالي فإن

1\_ بوسرار، نجمة، الثقافة ومشكلة الطبيعة الإنسانية في فلسفة روسو و فرويد، مرجع سبق ذكره ص،151.

2\_روسو، جون جاك العقد الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ،ص 204.

البرابرة أخضعوهم، وعندئذ بدأ الانقسام بين السلطتين من جديد وعلى الرغم من هذا الانقسام لدي المسلمين أقل ظهوراً منه لدي المسيحيين.<sup>1</sup>

يؤكد روسو في الفصل الأخير من العقد الاجتماعي أنه لا دور للدين في الحالة المدنية، فالأفراد ينضمون بعضهم إلي بعض لا تلبية لأوامر الإلهية وإنما انطلاقاً من حاجاتهم المشتركة إلي حماية و الأمن الذين لا يمكن توفيرها إلا ضمن المجتمع. ومن أجل حماية الأفراد بعضهم من بعض لا بد من عقد قان بين المجتمع وبين الجهاز السياسي وهو الدولة، حيث يتكفل بتلك الوظيفة ويرعى بالتالي حقوق الأفراد ومصالحهم المشتركة، حيث يجرد روسو من كافة المضامين التي لا تتلاءم مع تصوراتهم للدولة لإحالاته إلي مجرد قواعد أو فضائل سلوكية عامة في: الدين المدني حسب تعبير روسو مختزل في الإحسان والعدل. حيث يقول روسو في نهاية العقد الاجتماعي " من المهم بالنسبة للنظام أن يكون لكل مواطن دين يحثه علي الإخلاص لواجباته، لكن عقائد هذا الدين لا تهم النظام ولا أفرادها إلا بقدر ما تتصل بالأخلاق والواجبات التي لكل فرد تجاه الآخرين ".<sup>2</sup> في خضم هذه انتقادات روسو لعلاقة الدين بالدولة إلا أنه لم يهدف إلي لقضاء التام علي الدين ورفضه لعلاقته بالدولة و إنما هو يهدف إلي بناء وتأسيس دين جديد يرتبط بالدولة وهو الدين المدني.

<sup>1</sup> \_ روسو، جون جاك العقد الاجتماعي، المصدر سبق ذكره، ص 204.

<sup>2</sup> \_ المصدر نفسه، ص 181.

الفصل الثالث : الفلسفة الإنسانية عند جون جاك روسو

المبحث الأول : تأثير فلسفة علي المفكرين الغرب

1 : تأثيره علي فكر جون دوي

2 : تأثيره في فكر جان بياجيه

المبحث الثاني : تأثير فلسفة روسو علي المفكرين العرب

1 : تأثيره علي المفكر فرح أنطون

2 : تأثيره علي المفكر عبد الله العروي

## المبحث الأول: امتدادات روسو التربوية

إن أي نظرية في التاريخ لا تتوقف عن حد معين، بل إنها تتناول دراسات أخرى وتبقي مستمرة على مدي استمرار المجتمع، كذلك النظريات التربوية تمتد من فيلسوف إلي آخر وهكذا هي في تغيير دائم، ونأخذ فكر روسو التربوي كمثال، ونجد أن أفكاره لم تتوقف عنده بل استمرت وتطورت وأثرت في فلاسفة آخرون من هؤلاء الفلاسفة، الفيلسوف جون دوي DEWEY JOHN، والفيلسوف جون بياجيه jean piaget .

## المطلب الأول: تأثير فلسفة روسو التربوية علي \*جون دوي

إذا اطلعنا علي فكر و فلسفة جون ديوي نلاحظ أن أكثر مؤلفاته تركز حول معالجة مسائل التربية وقضاياها، ومن المعروف أن علاقة الفيلسوف بالتربية عموما قديمة في الفكر البشري فالفلاسفة القدماء صرفوا جهودهم للتربية والتعليم باعتباره الميدان لتطبيق أفكارهم الفلسفية سواء في إصلاح أوضاع مجتمعاتهم السياسية، الاقتصادية ..الخ" معني هذا أن جون دوي كرس مجمل أعماله في التربية والتعليم ،وكان لتأثير هذه الأعمال تأثيرا بارزا حيث عملت مؤلفاته علي نشر صبغ التربية والتعليم في كثير من المجتمعات .

إذا أردنا أن نعرض طبيعة التربية عند دوي فنجده يقول "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة .. وليست التربية في مذهبها عملية انكشاف تأتي من داخلية الفرد، ولا من تدريب للقوى المستقرة في العقل نفسه، وإنما هي تكوين للعقل بإيجاد محتويات متداعية ومترابطة فيه."<sup>1</sup> يقصد جون ديوي أن التربية تتسم بالطابع الاجتماعي فهي نتيجة تفاعل بين الغرائز الفردية والعوامل الاجتماعية، وهي التغير الحاصل في شخصية الطفل نتيجة الخبرة

\* \_ جون دوي DEWEY JOHN ، فيلسوف ومربي أمريكي شمالي ولد في 1859 بولاية فرمونت ،وتوفي في نيويورك 1952، كان لتأثير نظرية داروين عليه تأثير كبير ،أشتغل منصب أستاذ في جامعة شيكاغو حيث عرض مبادئه في قانون الإيمان التربوي ،وكان أول مؤلفاته في علم النفس عام 1887 يبرهن فيها عن طبيعة العقل ووظيفة الادائية بعنوان دراسة الأخلاق ،أنظر إلي جورج طرابيشي، مرجع سبق ذكره ص 312

<sup>1</sup>\_ ديوي جون، الديمقراطية والتربية، تر عفاوي مني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2، 1954، القاهرة، مصر، ص82.

التي تنتقل من جيل إلى جيل بصورة دائمة ومستمرة. فهذه الأخيرة تركز على المهارات العلمية المختلفة وهذا الذي يجعل التفاعل بين الأفراد والمجتمع.

إن الحديث عن التربية عند دوي يجعلنا نرجع إلى نظريات وأراء فلاسفة حول موضوع التربية ومن أبرز الفلاسفة الذين خاضوا في هذا المجال هو الفيلسوف الفرنسي جون جاك وسو من خلال كتابه الشهير في التربية "إميل" الذي يبين فيه عن التربية وربطها أيضا بالخبرة هنا نلاحظ التأثير الذي بين روسو وبعده جون دوي في فكرة الخبرة، فيري روسو "أن التربية تأتينا إما من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء فتنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية ذلكم هي التربية الطبيعية. وما تتعلم من الإفادة من ذلك النمو ذلكم هي التربية الطبيعية. وما نكسبه بخبرتنا عن الأشياء التي نتأثر بها، فذلكم هو تربية الأشياء."<sup>1</sup> يذهب روسو إلى أن التربية الطبيعية هي التي تعزز القدرات العقلية للطفل، حيث تزيد من ثقته واعتماده على نفسه، ويرى روسو أن التربية الصحيحة للأطفال هي تركهم يتربون تربية طبيعية حيث يتعلمون منها وينمون خبراتهم ومكتسباتهم من الخارج. ونلاحظ الفيلسوف جون ديوي يرى أيضا أن الخبرة هي أساس التربية، حيث يبرز لمفهوم التربية ويقول " إنها عملية مستمرة من التنظيم والتكوين الجديد للخبرة فلها في كل حين هدف تربوي، وعلى القدر ما يكون للفاعلية من أثر تربوي تراها تصل إلى الهدف وهو التحرير المباشر لنوع الخبرة."<sup>2</sup> يرى ديوي التربية يجب أن تقوم على الخبرة باعتبارها طريقة مثلي للتربية، و تقوم هذه الأخيرة بتحليل الخبرات وترجمتها واستعمالها كوسيلة لكسب المهارات وتحقيق الأهداف التربوية.

هدف جون ديوي من اعتماد تربية الأطفال على الخبرة هو استغلال كل خبرات الواقع لتحقيق تربية صالحة وهذه الأخيرة لا تتحقق إلا من الاستفادة من الوسط الاجتماعي الخارجي وجعله ركيزة وأساس للتربية والتعليم وهذا ما يؤكد في قوله " إن البيئة الاجتماعية تكون الركيزة العقلية والعاطفية في سلوك الأفراد إذ تدفعهم إلى ألوان من الأعمال تتركب فيهم ضروبا من

<sup>1</sup> \_ عبد الدايم، عبد الله ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، ط5، 1984، بيروت ، لبنان ، ص 103.

<sup>2</sup> \_ ديوي ، جون، الديمقراطية والتربية ، المصدر سبق ذكره ، ص79.

البواعث وتقويتها.<sup>1</sup> "معني هذا أن البيئة الاجتماعية لها دور هام في تربية الطفل فهي تعزز قدراته العقلية وثقته بنفسه.

نلاحظ أيضا في نقطة أخرى التأثير الواضح لروسو علي جون دوي، في فكرة المدرسة أو الدور التربوي. "عد ديوى المدرسة هي المجتمع الصغير علي منوال المجتمع الكبير ككل، وأكد علي دور المدرسة بحيث يجب أن يحدث التوافق بين الخبرات الطفل وتدريبه علي حل المعضلات التي تواجهه من خلال تدريسه طرق التفكير الصحيح وقدرته علي إصدار الأحكام الصحيحة، وهذا يكون بتدريب الطفل علي الحياة القادمة، وأن يقوم هدف التربية علي فعاليات الفرد وحاجاته بما فيها غرائزه وعاداته"<sup>2</sup> يري ديوى أنه يجب الاهتمام بالمدرسة لأنها في نظره هي المجتمع الصغير الذي يحدد نجاح لمجتمع الكلي، بحيث أن في داخل مدرسة يكمن معيار التوافق بين خبرات الطفل و حل المشكلات التي تواجهه من خلال الدرس الذي يتناوله في القسم الذي يجمعه مع المعلم، فالمدرسة تقاس بمعايير تخص الطفل أو التلميذ، لذلك يري ديوى أن المدرسة وجدت من أجل الطفل وليس العكس ففي كتابه "مدارس المستقبل" نجده ينوه بأفكار فلاسفة التربية من أمثال جون جاك روسو.

" لعل روسو كان أول من أدرك عملية التعليم هي ضرورة وأنها جزء من عملية النمو وحفظ الذات فإذا أردنا أن ندرك كيف تتم العملية التربوية بنجاح كامل، وجب علينا أن نتجه إلى خبرات الأطفال حيث تكون عملية التعلم ضرورة لا نتجه إلى خبرات المدرسة وتجاربها التي هي زخارف إلى حد بعيد ومسائل شكلية سطحية، بل لعلها عملية فرض لا يرحب بها الأطفال ولا يتقبلونها بقبول حسن."<sup>3</sup> هنا نلاحظ تأثر جون ديوى بروسو من خلال استشهاده بأفكاره حيث يري أن روسو كان محقا عندما أعطي الاهتمام إلى دراسة خبرات الأطفال. و أنها هي

<sup>1</sup> ديوى ، جون، الديمقراطية والتربية ، المرجع سبق ذكره ص18.

<sup>2</sup> عبد الجاسم، منتهي، فلسفة التربية عند جون دوي، مجلة الحوار المتمددين، العدد 3369، 2011، ص 7.

<sup>3</sup> عبد الجاسم، منتهي، فلسفة التربية عند جون دوي، المرجع سبق ذكره، ص7ص8 .

التي تنتج لنا عملية تربوية ناجحة في الأخير، علي عكس دراسة المدارس فهي في رأيه أمور شكلية فقط وليست بأهمية التلاميذ.

في حديث عن المدرسة فجون دوي قد أشار إلي هذا الجانب ولم يهمله حيث خصص لها الكتاب "المدرسة والمجتمع" فيميل ديوي إلي النظر إلي المدرسة من وجهة نظر فردية لأن أكثر شيء يهمله هو التقدم الذي يحققه الطفل داخل المدرسة، حيث نجده يصفها بأنها علاقة تكون بين المعلم والمتعلم، حيث يقول جون دوي في ذلك "إننا ميالون إلي النظر إلي المدرسة بوجهة نظر فردية بوصفها شيئاً بين المعلم والمتعلم، أو بين المعلم والوالدين، لأن أكثر ما يثير اهتمامنا هو بالطبع التقدم الذي يحرزه الطفل من معارفنا في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدمه في القدرة علي القراءة والكتابة والحساب.. الخ، وتحسن طباعه وعاداته في التهيؤ والاستعداد للأشياء، وفي النظام والمواظبة فيمثل هذا المعيار نفس عمل المدرسة."<sup>1</sup> يري دوي أن المدرسة تقاس بمعايير معينة تخص الطفل أو التلميذ مثل معيار التهيؤ والاستعداد حيث يؤكد دوي من قوله أن التربية الحديثة هي تتعلق بالمدرسة، وهذا نتيجة التغيرات التي تطرأ في المجتمع في ظل التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم.

حيث يوجه ديوي عدة توجيهات للمعلمين أو المربين في خصوص تربية وتعليم الطفل في ظل التطورات التكنولوجية التي تحتم على المربين أن يغيروا طريقة التعليم والتربية، ويقول

" وهذا هو المستوي الذي تقدر بموجبه التغيرات التي تحدث في المدرسة .. لأن التغيرات التي تحدث في طريقة التربية ومنهجها هي من نتاج الحالة الاجتماعية، هي جهد يسدد حاجات المجتمع الجديد للأخذ بالتكوين .. وهذا هو إذن إدراك ما يمكن أن نطلق عليه التربية الحديثة في ضوء التغيرات أوسع تحدث في المجتمع."<sup>2</sup> يري دوي أن العالم في تطور وهذا التطور سيغير كل العلوم في المجتمعات المزدهرة كانت أم المتخلفة، والتربية هي أحد هي

<sup>1</sup> \_ ديوي، جون ، المدرسة والمجتمع ،تر، أحمد حسن الوحيد ،منشورات دار مكتبة الحياة ،ط1987،2،ص31.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه ،ص32.



العلوم التي يجري عليها التغيير والتطور لذلك حث ديوي المربين أو المعلمين أن يعثتوا بهذا المجال لأن هذا الأخير هو مستقبل الأجيال في المستقبل .

**المطلب الثاني : تأثير فلسفة روسو علي الفيلسوف \*جون بياجيه. jean piaget**

يعتبر جون بياجيه رائد المدرسة البنائية في علم النفس إذ أنه من طور نظرية التطور المعرفي لدى الأطفال فيما يعرف الآن بعلم المعرفة الوراثة في جنيف، حيث أنه عين مديرا للدراسات بمعهد جان جاك روسو في جنيف، ولقد تأثرت نظرية بياجيه للتطور المعرفي في كثير من المجالات، وسنبرز النقطة الأولى التي تأثر بها بياجيه بفلسفة التربية عند روسو. " يقول روسو"إن التربية تركز على مصادر ثلاث وهي الطبيعة والإنسان والأشياء، ويرى أن الطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالا قبل أن يكونوا رجالا ولا يجوز عليهم حياة الراشدين وأفكارهم ومقاييسهم في السلوك، لأن الطفل ليس رجلا مصغرا، بل هو عبارة عن كائنا في طريق النمو.<sup>1</sup> يرى روسو في كتاب إميل للتربة أن لا يجب أن نعامل الأطفال كأنهم رجالا أو راشدين، لأن الطفل هو حاسبه كائن صغير لا يستطيع أن يستوعب حياة وأفكار الراشدين.

"ونجد نظرية بياجيه في التطور المعرفي تركز علي فكرة شاملة عن طبيعة الذكاء البشري وتطوره، حيث يعتقد هذا الأخير أن دراسة المرحلة الأولى للإنسان لها أهمية كبيرة في دراسة تنمية الشخص، ويعتبر الطفل عند بياجيه هو الركيزة الأساسية لنظريته، حيث يركز علي أنه يجب مراعاة الفرق بين التفكير الطفل وتفكير الراشد."<sup>2</sup> من هنا نرى أن كلا الفيلسوفين يعطي اهتمام كبير لتربية الطفل وأنه يجب أن لا يعامل كغيره من الراشدين.

يمكن الاستناد في تربية الطفل ( طفل قبل ما المدرسة ) لدي بياجيه من مبادئ التربية من نظريته حيث يقول بياجيه " إن الفائدة الأساسية في نظرية نمو العقلي في مجال التعليم هي

\* جان بياجيه ( 1896\_1980 ) فيلسوف سويسري الأصل درس علم النفس حيث يعتبر من نوابغ علم النفس التربوي من أشهر دراساته مفهوم الطفل عن العدد و مفهوم الطفل عن الحركة والسرعة و مفهوم الطفل عن المكان ، أنظر إلي نبيل موسي موسوعة مشاهير العالم ،دار الصداقة العربية، ط1 ، 2002، بيروت ، ص97.

<sup>1</sup> روسو ، جون جاك ، إميل أو تربية الطفل من المهد إلي الرشد ،المصدر سبق ذكره ،ص 161.

<sup>2</sup> صادقي ، رحمة ، نمو المفاهيم لدي الطفل حسب نظرية بياجيه ،المركز الجامعي تمناست ،عدد 12 ،2014، ص 143.

إتاحة الفرص أمام الطفل ليقوم بتنمية ذاته، حيث لا نستطيع أن نمارس تربية الطفل بشكل حسن، دون أن نضعه في موقف تعليمي، حيث يختبر بنفسه ويرى ما يحصل ويضع أسئلة ويفتش في إجاباته الخاصة رابطاً ما يحده هنا بما يجيده في مكان آخر مقارنة اكتشافاته باكتشافات الأطفال الآخرين.<sup>1</sup> نلاحظ هنا من قول روسو أنه يحث علي تربية الطفل في بيئة اجتماعية وتربية تطبيقية من خلال الملاحظة المباشرة والاحتكاك المباشر بالأشياء في الطبيعية وأن ندفع بالطفل داخل مواقف تعليمية حتى يختبر معلوماته التعليمية ويقارن مع الآخرين لأن بيواجه يرى أن مقارنة الأطفال مع بعضهم البعض له فائدة في تنمية ذكاء الأطفال .

في نفس هذه النقطة نجدها عند روسو قبله حيث يقول "أما المرحلة الرابعة فهي تكون جسد إميل وحواسه ودماعه، أي تربية الطفل تربية تمكنه من العيش مع الآخرين عن طريق الحواس والتجربة والاحتكاك المباشر مع الطبيعة."<sup>2</sup> يرى روسو أن الطفل بعد تكوين حواسه وجهازه العصبي أي في عمر من الثانية عشر إلى الخامس عشر يجب أن نتركه يتعلم عن طريق احتكاك بأفراد المجتمع، أي تربية تطبيقية كما يرى جون بياجيه بعده، غير أن هذا بياجيه لا يتفق مع روسو في مسألة مقارنة الأطفال بغيرهم، فهو يذهب إلى "أهمية التفاعل بين الأطفال في المدرسة، حيث يعتقد أن النمو العقلي يفترض علي تفاعل الأطفال مع الراشدين ومع تعاون الأطفال فيما بينهم، فالصراع بين الأطفال يجعلهم يدركون مباشرة وجهات نظر مختلفة من هنا الأفضلية العمل في جماعات والمناقشات بين التلاميذ."<sup>3</sup>

يعني هذا أن يجب أن نقارن بين الأطفال ليس لتمييز بينهم بل بياجيه يرى أن هذه المقارنة لها فوائد حيث أن الأطفال يكتشفون أخطاء بعضهم البعض فيكون نسبة الفهم كبيرة وبسرعة أيضاً، إذ أنهم يتعلمون من بعض ويغيرون سلوكياتهم وعادات السيئة، حيث يركز

<sup>1</sup> شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في التربية طفل ما قبل المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2002، القاهرة، ص 193.

<sup>2</sup> روسو، جون جاك، إميل، المصدر سبق ذكره، ص 155.

<sup>3</sup> شبل، بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل ما قبل المدرسة، المرجع سبق ذكره، ص 193.

الفيلسوف جون بياجيه عن أهمية وجهات النظر وتبادل الآراء والأفكار حتى وإن كان هذا التبادل بين الأطفال وليس بين الراشدين.

" أما فيما يخص المعلمين أو المربين فيجب المراعاة بين تفكير الطفل وتفكير البالغين وهذا ما أكد عليه روسو في كتاب "إيميل" فعلي المربي أن يعرف النقطة التي يقف فيها كل طفل في المرحلة التي يمر بها من حيث المستوى التطور والأداء، وأن يقود الطفل بالسرعة التي يكون الطفل مستعدا للسير بها، وأن يتجنب المربي التفكير بأن جميع الأطفال الذين يقعون في سن واحد هم مماثلون تماما.<sup>1</sup> نستخلص هنا أن جون بياجيه وروسو اتفقوا علي أمر واحد يخص المربين أو المعلمين، حيث يري كلاهما أن يجب مراعاة عقول وتفكير الأطفال وتجنب معاملتهم كراشدين، فيجب علي المربي أن يراعي الطفل من حيث مستواه ودرجة تطوره في المرحلة العلمية وأن لا يتم الضغط علي الطفل في التعلم.

المبحث الثاني: تأثير فلسفة روسو علي المفكرين العرب

المطلب الأول: فرح أنطون

" لقد كان "فرح أنطون" شديد الشغف بالآداب الفرنسية فأكب علي مطالعة مصنفات أعلامها ويخبرنا عن نفسه أنه صرف عمره في درس الفرنسية، وقرأ فيها ما لا يقرأه غيره في مئة سنة ولقد تأثر فرح أنطون بشكل خاص بالفيلسوف والمفكر الفرنسي جون جاك روسو.<sup>2</sup> معني هذا أن المفكر فرح أنطون من أشد متأثرين بثقافة والعلوم الفرنسية، وقد تأثر بفكر الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو علي وجه الخصوص وفيما يلي نعرض صورا لهذا التأثير.

<sup>1</sup> \_ شبل، بدران ، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل ما قبل المدرسة ، المرجع سبق ذكره ،ص 194.

<sup>2</sup> \_ حسن قدرة، عبد العال، تأثير روسو علي فرح أنطون، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، مجلد 10 ، 2002 ص

أولاً: تأثير "إميل أو التربية" لروسو علي \*فرح أنطون

لكي نلاحظ تأثير فكر الفيلسوف جون جاك روسو علي المفكر فرح أنطون يجب أن نوضح نقاط عن موضوع التربية عند روسو أو شرح الكتاب إميل، ولأن هذا كتاب يحتوي على ألف صفحة سنقوم بشرح عناصر تأثر فرح أنطون بروسو فقط.

يقول روسو في كتاب "إميل" "أنه وليس علي الإنسان أن يتعصب لدينه أو معتقده، فإن التركي الذي يسكن استامبول، لو قدر له أن يولد في أسرة باريسية متعصبة، لكان كاثوليكياً متعصباً، وفي المقابل أن الباريسي لو قدر له أن يولد في أسرة اسطامبولية مسلمة محافظة، لكان مسلماً متعصباً، ومن هنا فإنه لا يجب أن نتعصب ويجب علينا أن ننادي بضرورة الإخاء بين البشر إنني احترم كل ديانة يجد فيه متبعه السلام أما بالنسبة لي شخصياً فأفضل أن اترك الديانة جانبا و أتبع ديانة الطبيعة"<sup>1</sup> نلاحظ من خلال روسو أنه يحث علي الإخاء وعدم التعصب في الأديان فروسو يذهب إلي أن الأديان هو شيء نفسي يحس به الإنسان فالدين عنده هو ما يمنح لمتبعه السلام والراحة والطمأنينة بغض النظر عن نوع ذلك الدين، وفي آخر قوله يؤكد بأنه لا يتبع أي دين معين فالدين عنده هو دين الطبيعة التي ولد الإنسان فيها .

وجاء في مقابل قول فرح أنطون في روايته "أروشليم الجديدة" وما يعبر عن وجوب نبذ التعصب وضرورة الإخاء بين البشر علي لسان بطل الرواية الذي خاطب حبيبته قائلاً: "إنني أحترم مذهبك وكل مذهب يجد فيه صاحبه راحة وسلاماً وحقا وفضيلة لنضع كل أديان البشر جانبا في مكان مقدس ولنجتمع علي دين جديد يقبل كل أديان الفاضلة، هو دين العدالة والحق والمحبة والصفح للجميع."<sup>2</sup> نلاحظ من خلال قول فرح أنطون أنه يحترم الديانات جميعاً، لأن في رأيه أن كل دين هو يمنح لصاحبه راحة وأمان وهو في هذه النقطة نلتمس التأثير بكلام جون جاك روسو، وسرعان ما نلاحظ في قوله اختلاف بين المفكرين فروسو يري أن نتبع

\* فرح أنطون ولد بمدينة طرابلس الشام سنة 1291/1874 هو من أعلام النهضة العلمانية العربية، اشتهر بدراسته عن الحياة والفلسفة ابن رشد، وتأثر بأعمال أرنست ريمان وفلسفة جون جاك روسو، أصدر مجلة الجامعة وتولي تحرير "صدي الأهرام أنظر إلي، كباره نزيه المسرح في لبنان حتي نهاية القرن العشرين، منشورات جروس برس، ط1، 1998، ص

<sup>1</sup> روسو، جون جاك، إميل، المصدر سبق ذكره ص 188 .

<sup>2</sup> حسن قدرة، عبد العال، تأثير جون جاك روسو علي فرح أنطون، المرجع سبق ذكره ص 119.

الديانة الطبيعية، لكن فرح أنطون اقترح دين جديد للمجتمعات وهو دين يقوم علي العدل والحق والمحبة.

نلاحظ هنا من أهم مظاهر تأثيرات كتاب إميل أو التربية لجون جاك روسو علي فرح أنطون يتعلق بالمعتقدات الدينية.

يضع فرح أنطون في أحد مقالاته في مجلته " الجامعة " (14) تحت عنوان "تربية المرأة " فكرة أخذها من عند جون جاك روسو والتي تقول " يكون الرجال كما تريد النساء، فإن أردتهم أن يكونوا فضلاء وعظماء، فعلموا النساء ما هي العظمة وما هي الفضيلة.<sup>1</sup>

حيث يذهب هذا الأخير أنا هذه المقولة هي لجون جاك روسو وهو سيقوم بتفسيرها والبرهنة عليها بالأدلة، وفي محاولة فرح أنطون شرح هذه المقولة يقول. " إن المرأة هي متسلطة علي الرجل وهذا الرأي فاسدا وصحيحا معا، يكون فاسدا لدي كل الأمم إذا اعتبرناه من حيث الظاهر ويكون صحيحا لدي كل الأمم أيضا إذا اعتبرناه من حيث الحقيقة والطبيعة. " <sup>2</sup> يعني فرح انطون أن فساد القسم الأول هو في رأيه أن الرجل هو الذي يتسلط علي المرأة في كل البلدان وجميع الأديان لا العكس أنا بالنسبة للقسم الثاني فصحة القول أن المرأة هي متسلطة أدبيا واجتماعيا علي الرجل. نلاحظ هنا استشهاد فرح انطون بمقولات روسو في مقالاته الصحفية أن هو متأثرا كثيرا به حيث نجده يشرح مقولاته ويستشهد بأفكاره ويقرأ له نصوص كاملة ويقوم بشرحها.

ثانيا: تأثير خطاب روسو أصول عدم المساواة بين الناس

لقد كان روسو من أولئك الذين تأثروا بالبساطة والقناعة والعيش في أحضان الطبيعة، حيث تحدث عن الحياة الطبيعية في كتابه "أصول عدم المساواة" و يقول " إن راحة الإنسان وسعادته تكون بعيدا عن الحياة المدنية وما بها من مادية عاتية، كانت سببا في زعزعة المبادئ

<sup>1</sup> \_ حسن قدرة ، عبد العال ، تأثير جون جاك روسو علي فرح أنطون ، المرجع سبق ذكره، ص 119.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص222.

والشرائع و الآداب والأديان، وأجبرت الأمم علي السير علي خط آخر، فجعلت منهم حيتانا هائلة تتعدي وتنهب وتقتل والشعوب في داخلها يأكل كبيرها صغيرها وقويها ضعيفها، بطريقة أسوء من ما تفعله الحيتان الكبيرة بحيوانات البحر الصغيرة.<sup>1</sup> يري روسو هنا أن الإنسان كان يتمتع في الحياة الطبيعية بكل السعادة والحقوق إلا أن انتقل إلى الحياة المدنية التي في رأيه هي من زعزعت كل السعادة التي كان ينعم بها الإنسان الطبيعي، ففي الحياة الاجتماعية سادت كل الفروق بين الأفراد فالقوي منها يأكل الضعيف، ويقول روسو أيضا " يستخدم الغني الفقير بأجر تافه، لكي يزيد من ثروته وبالتالي يجنح إلي الترف الذي يساعده بدوره علي انحدار الأخلاق لأن الثورة تبطر صاحبها ،فضلا علي أنها تيسر له إتيان الصغائر والفواحش ما كان عاجزا عنه قبل الوصول إليها، و بقدر ما يزداد الأغنياء غنى ،يزاد الفقراء فقرا ."<sup>2</sup> يري روسو هنا أن في الحياة المدنية تزداد الفوارق والتفاوت بين الناس إذ أن القوي الذي تكلم عنه هو نفسه ذلك الغني الذي يهين الفقير، ويرى روسو أيضا أن الغنى هو سبب انتشار الفواحش بين الناس وانحدار الأخلاق.

ولقد تأثر فرح أنطون تأثيرا كبيرا بأفكار جون جاك روسو ولقد تجلي هذا التأثير بشكل واضح من خلال خطبة أنطون لدي شلال نياجرا وقوله " أتذكر أيها الشلال يوم شطك كان مرتعا لأولئك الهنود المساكين قبل أن يصل إليك البيض ويغتصبوا أرضهم هذه ظلما؟ لا ريب في أنك تذكره لأنك كنت معبدوهم، فأولئك البشر المساكين الذين كانوا يصطادون التمساح من مياهك وهم عراة الأبدان يعيشون بالغزو والسطو، كانوا أسعد حالا من هؤلاء البيض الوافدين علي شاطئهم من جميع أقطار الدنيا وملؤها بالمدن العامرة والمنازل الفاخرة، وراحوا يتبخترون بأعمالهم مثل الطاووس وصدقني أيها الشيخ كانوا اسلم طبعاً و ابعده عن خبث من هؤلاء."<sup>3</sup> قام فرح أنطون بخطبة في أحد مقالاته عن شعب الهند الذين كان يعيش حياة سعيدة وهنيئة في

<sup>1</sup> \_روسو، جون جاك ، أصل التفاوت بين الناس ، المصدر سبق ذكره ص 115.

<sup>2</sup> \_المصدر نفسه، ص93

<sup>3</sup> \_حسن قدرة، عبد العال ، تأثير جون جاك روسو علي فرح أنطون ، المرجع سبق ذكره ،ص228.

أرضهم إلا أن قام باحتلال وطنهم واغتصابها من طرف الأجانب الذي وصفهم فرح انطون "بالبيض" حيث قام هؤلاء المستولون علي أرضهم ببناء المدن والمنازل الفاخرة والحدائق الكبيرة جعلوا من أبناء الوطن خدما وعبيدا لديهم في حين أنهم هم يعيشون حياة ملوك. ويرى أيضا أن أصحاب الأرض هو أسلم من هؤلاء الأغنياء الذين اغتصبوا أرضهم ونهبوها بكل خبث.

إن هذه الخطبة التي قام بها فرح أنطون لدي شلال نياجرا تذكرنا بخطبة التي قام بها روسو عن "أصول عدم المساواة" حيث تحدث روسو عن الإنسان الطبيعي وما يتمتع به من حقوق وسعادة في الحياة الطبيعية بعيدا عن الحياة الصناعية التي حولت الحياة الإنسانية إلى مادة عاتية والتي قامت بزعزعة المبادئ والشرائع والأديان، والآداب الإنسانية وجعلت البشر وحوشا تنهب وتقتل من أجل المال وحب التملك والسلطة.

نستنتج بعد مقارنة الخطابين أن المفكر فرح أنطون تأثر تأثيرا كبيرا بالمفكر الفرنسي جون جاك روسو، حيث أن الخطاب الأول لروسو يؤكد فيه أن الإنسان كان يعيش حياة سعيدة وينبذ الحياة المدنية، والخطاب الثاني أيضا نجد فرح انطون يبجل حياة الهنود السمر الذين كانت حياتهم سعيدة قبل أن يتم غزوهم من طرف الأجانب البيض.

#### تأثير خطاب روسو عن "عن العلوم والفنون"

يقول جون جاك روسو في خطابه أصل العلوم والفنون "مزقوا الكتب العلوم والفنون واهدموا القصور حيث تعشش الرذائل، دمروا المدن حيث تسود الشرور واخرجوا إلي الطبيعة بعيدا عن مفاسد الثروات والمدنيات، وعيشوا في حياة طبيعية فطرية، تترقرق بالحرية والسعادة والقناعة والهدوء إنني أدعوا الناس إلي أنا يعيشوا أحرارا كطيور السماء، لا تهتم بشيء لأنها تجد في الطبيعة كل شيء".<sup>1</sup> نرى أن روسو من خلال قوله هذا هو يهاجم كل العلوم والفنون التي طرأت في المجتمع، ويتهمها أنها هي من نشرت الشرور في البشر وعكرت حياتهم التي

<sup>1</sup> \_ حسن قدرة، عبد العال، تأثير جون جاك روسو علي فرح أنطون، المرجع سبق ذكره، ص 230.

كانوا يعيشونها في الحياة الطبيعية، ومن خلال قوله أيضا هو يدعو الناس إلي أن يتخلوا علي كل الحياة المدنية الصناعية ويرجعوا إلي الحالة الطبيعية التي تمنحهم الحرية والهدوء والسعادة والفنعة .

يردد فرح أنطون (في قصته :أورشليم الجديدة أو فتح بيت المقدس) مهاجما تلك العلوم والفنون كما هاجمها روسو، فيقول " ..ينادي منادي الطبيعة في داخلي هذا النداء الطويل ..هذه هي الطريق المستقيمة هذا هو سبيل السعادة الممكنة .اخرجوا اخرجوا إلي الطبيعة يا أبناءها وعيشوا فيها بعيدين عن مفسد الثروات والمدنيات وكونوا كطيور السماء وزنابق الحق لا تهتم بشيء لأنها تجد في الطبيعة كل شيء .اهدموا القصور حيث تعشش الرذائل المختلفة ،مزقوا الكتب وانبذوا العلوم والفنون ." <sup>1</sup>يذهب فرح أنطون إلي أن طريق سعادة الإنسان تكون بالابتعاد عن حياة المدن التي تدعو إلي الفساد ، ويدعو إلي الرجوع لحياة الطبيعة التي ينعم البشر فيها بالحرية والسعادة .نلاحظ أن المفكرين يتفقان علي ضرورة الرجوع إلي الحياة الطبيعية بغية العيش بعيدا عن مفسد الثروات الحياة المدنية التي تدعو إلي انحلال الأخلاق ، ويتفق الجانبان أيضا علي ضرورة هدم القصور حيث تعشش الرذائل وعلي تبني دعوة تمزيق الكتب والفنون والعلوم التي تساهم في تخريب العادات الإنسانية الجيدة .

المطب الثاني : تأثيره \*علي عبد الله العروي.

بعدما عرضنا تأثير المفكر " فرح أنطون" بفلسفة جون جاك روسو نجد المفكر العربي عبد الله العروي الذي هو أيضا يعتبر من أهم الأعلام العربية المتأثرة به. حيث نجده يترجم نص

<sup>1</sup> \_ روسو،جون جاك ، مقالات في العلوم والفنون ، تر جلال الدين سعيد ، مكتبة الفكر الجديد، 2، تونس، 2017 ، ص 17ص18.

\* عبد الله العروي 1933 مفكر وروائي مغربي من أنصار القطيعة المعرفية ، مع التراث العربي الإسلامي يدافع عن التوجه التاريخي باعتباره معبرا عن "الوحدة" و "التقدم" الإنسانية، يضم إنتاجه الفكري و الإبداعي دراسات في النقد الأيديولوجي وفي تاريخ الأفكار و الأنظمة ونصوصا ورائية ،،نشر أعماله في مجموعة من المجالات منها أقلام الرباط، مواقف بيروت . أنظر إلي أبو زيد،سمير،فلاسفة العرب، مجلة مستقبل العربي، العدد 147.



روسو بعنوان "عقيدة قس من جبل السافوا" لكن عبد الله العروى وضع له عنوان آخر وهو "دين فطرة".

"حيث جاءت عقيدة القس في الجزء الرابع من كتاب أميل المكون من خمسة أجزاء، وقام بنقله من الفرنسية إلى العربية علي شكل كتاب خاص "عبد الله العروى تحت عنوان "دين فطرة" أو "عقيدة الجبل سافوا" حيث يأتي نقاش المسألة الدينية متأخرا في مسيرة "أميل" التربوية، لا يكلمه أستاذه عن الخلق والخالق، إلا بعد أن يتجاوز سن الخامسة عشر.<sup>1</sup>

"إن ترجمة العروى لهذا الكتاب ليست اعتباطية، كما يعبر العروى أيضا في مقدمة الكتاب، بل هي ذريعة من أجل تفكيك بعض مشكلات الوجود الفكري العربي اليوم<sup>2</sup> معني هذا أن العروى لم يختر كتاب روسو ليترجمه بطريقة عفوية بل قصد ذلك ليسلط الضوء علي بعض المشكلات في العالم العربي الإسلامي. إذ يعتقد العروى أن لحظة روسو الفلسفية في وسط القرن الثامن عشر، هي اللحظة الفكرية الوحيدة التي اقترب فيها المفكر الأوروبي من تمثل الفكر الإسلامي.

ويؤكد روسو علي أن هدف التربية الدينية هو تحرير الذهن من الأفكار المسبقة والأحكام المتوارثة وهذه هي في نظر الفلاسفة هي تعاليم الكنيسة. ويقول عبد الله العروى من خلال نص روسو في دين فطرة "اكتفيت بنقل هذا النص إلي العربية بصفة محايدة، فبالنسبة للقارئ العربي المسلم، وحتى غير المسلم، يقرأ ردود روسو علي الفلاسفة الماديين فيستحضر في الحين الغزالي وكتابه تهافت الفلاسفة، يقرأ نقده لليهودية والنصرانية فيتذكر توا ابن حزم و كتابه الفصل، يقرأ تخيله فردا وحيدا يعيش في جزيرة منعزلة فيسترجع ابن طفيل وقصة حي ابن يقضان يقرأ كلامه عن الدين الظاهر ودين الباطن، وعبادة القلب والجوارح فيستذكر في الحين

<sup>1</sup> عبد الطيف ، كمال ، العرب في زمن المراجعات الكبرى ، محاولات في تعقل تحولات الراهن العربي ، المركز العربي للأبحاث ، د ط ، ص 143.

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه ص 144.

أقول ابن رشد ومحمد عبد ومحمد إقبال<sup>1</sup>. "يقصد عبد الله العروي من قوله اكتفيت بتعريب نص روسو بصفة محايدة أي موقفه الفكري تجاه أفكار روسو أي هو يرفض تأويل أفكاره إلي الدين الإسلامي وهو ما يقصده "الامتناع عن أسلمته" ثم بعد ذلك نلاحظ من خلال قوله في الجزء الثاني من كلامه أن روسو يرد علي الماديين فينتقدهم وينكر عليهم أن تولد مادة أو تتحرك من غير روح، ومن غير قوة خارقة، وييري إن كان ابن رشد قد تكلم عن الحكمة والشريعة باعتبارهما مسلكين للوصول إلي الحقيقة ، ومعرفة الذات الإلهية فإن مسلك روسو هو الوجدان ويعرف روسو الوجدان ويقول "هي الغريزة الربانية أو نور الضمير وهو الذي يسير آلة العقل ، وهو مقر الإيمان ."<sup>2</sup> حيث يرد روسو علي فلاسفة "نحن لنا عليهم ميزة تتمثل في صوت الوجدان"<sup>3</sup> هذا الوجدان الذي يعمل حسبه وفق مبدأ يسميه روسو بالضمير ، وهذا الضمير هو الذي يحس وجود الخالق ويدركه، كما يقول روسو "الضمير غريزة ربانية وصوت علوي لا يخفت... حيث يوجد في سر النفوس مبدأ يولد مع الإنسان علي ضوءه يحكم الفرد ولو صدم ذلك ميوله الشخصية ،علي تصرفاته وتصرفات غيره ،فينعتها بالصالحه أو بالفاسدة وهذا هو المبدأ هو الذي أسميه أنا الضمير ."<sup>4</sup> و مع أن هذا التمثل لا يتجاوز الجوانب النظرية الصرفة، ولا يمس النظم و الأخلاق والعادات، فإن العروي يعتقد أن نقل هذا النص سيفيد المثقف العربي، في محاولة قيام بتجربة مشابهة للقس في جبل سافوا الذي حاول الابتعاد من حالة القلق والاضطراب التي عاشها في عصره، وذلك من خلال قول العروي " رسم عقيدة بسيطة، بيينة ،صادقة ،توفق بين العقل والوجدان ،وتضمن للفرد الطمأنينة وللمجتمع الوحدة والاستقرار ."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> \_ روسو ، جون جاك ،دين فطرة ،تر عبد الله العروي ،المركز الثقافي العربي ،ط1، 2012 ، بيروت ،لبنان ،ص 18.

<sup>2</sup> \_ روسو ، جون جاك ،دين فطرة ،تر:عبد الله العروي ، المصدر سبق ذكره ص 30.

<sup>3</sup> \_ المصدر نفسه ص 30.

<sup>4</sup> \_ المصدر نفسه ص 17.

<sup>5</sup> \_ روسو ، جون جاك ، دين فطرة ، المصدر سبق ذكره ، ص 9 ص10.

"يحكي الكتاب عن قصة قس مر بتجربة وجدانية فريدة ،حيث رسم لنفسه عقيدة بسيطة بينة وصادقة لا تعارض فيها بين العقل والقلب وغايتها تحقيق الاطمئنان الفردي والاستقرار المجتمعي" يحتوي الكتاب عن جملة من المواعظ يقدمها قس في جبل سافوا إلي شاب حيث يحثه فيها علي وجوب تنوير عقول الناس التي تعيش في ظلام وشك من شبهات الفلاسفة والقساوسة ،ويحكي قصته مع الحيرة والشك ومحاولته لانتقاد لمقررات الكنيسة بالإضافة إلي مهاجمة ونقد الفلاسفة الذين دعوا إلي اتخاذ الشك عقيدة .ويري أنهم يسعون إلي نشر الشقاء الإنساني حيث يقول العروى من خلال الكتاب "تبين لي أن أولى الأفكار و أعمها هي أبسطها وأقربها إلي العقل".<sup>1</sup>معني هذا أن عبد الله العروى يحث علي استبدال الأمور الفلسفية المعقدة بأمور بسيطة تصل إلي العقل بسهولة .حيث يعرض بعد ذلك كل الأمور المعقدة التي تحتاج إلي تبسيط منها جدلية الحركة والمادة منتقداً بذلك مقولات فلاسفة الماديين ،حيث يقول في ذلك "أكبر استخفاف بالرب ليس الغفلة عنه بل التفكير فيه بما لا يليق به"<sup>2</sup>المقصود هنا أن عبد الله العروى انتقد الفلاسفة الماديين الذين يعتقدوا إن المادة الجامدة قد أنتجت كائناً ذا حياة وإحساس، هنا هم يستخفون بعظمة الله في حين أن عبد الله العروى علي لسان روسو ينتهي إلي وجود إرادة حكيمة تسير الكون، ويرى في رأيه إن بدل التفكير في ماهية الرب يجب التفكير في ماهية الإنسان أولاً .

"حاول العروى تذكير قرائه بأهمية المقارنة في المنزع التاريخاني ، ومؤكد علي جملة من المعطيات التي سبق له أن أبرزها، حيث يتعلق الأمر بضرورة الاستفادة من مكاسب التاريخ والعصر لمواجهة العلل المشابهة فيه ،إذ يؤكد بوضوح قاطع أن منطلقات التفكير الروسي ،هي وجدان الفرد الحر المستقل ، وهذا الأخير الغائب الأكبر في تصورات أصحاب النصوص المماثلة له في فكرنا العربي ،أمثال ابن رشد ،الغزالي ، وابن طفيل ،و محمد عبده

<sup>1</sup> روسو ، جون جاك ، دين فطرة، المصدر سبق ذكره ، ،ص30.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 48.

،ومحمد إقبال<sup>1</sup> يري عبد الله العروي أنه من المفيد هو قيام بتجربة ذهنية تساعدنا علي فهم كتاب روسو وكتابات إسلامية مشابهة له حيث يري أن نفس المعطيات التي تكلم عليها القس حيث انتقد الكنيسة والقساوسة الذين نشروا الأفكار الغامضة والمضطربة في عقول الشباب ، وشبهه عبد الله العروي نفس الحالات في الفكر العربي من كتب الفلاسفة العرب أمثال ابن رشد و ابن طفيل ...الخ.

<sup>1</sup> \_عبد اللطيف، كمال، لماذا ترجم عبد الله العروي نص دين فطرة ؟ ، المرجع سبق ذكره ،ص 4.

الخطبة

وفي الأخير نخلص إلي أنه بالرغم من أن نظرية العقد الاجتماعي تواجدت قديما في فلسفات عدة، إلا أن روسو أعطى بصمة خاصة، فهو لم يكن مقلد و نظريته تختلف اختلافا جذريا عن كل ما ذهب إليه فلاسفة قبله وخاصة توماس هوبز وجون لوك.

تتعلق نظرية روسو من افتراضه أن الناس في الحالة الطبيعية بعدما عانوا من مساوئ تفوق طاقتهم ولا يستطيعون مواجهتها منفردين، لجئوا إلي عقد اتفاق فيما بينهم للدخول في حالة جديدة أكثر تنظيما من الحالة الأولى وتقوم هذه الحالة بحماية حقوقهم. وبموجب هذا الاتفاق الأفراد يتنازلون عن حقوقهم للإرادة العامة حيث تعمل هذه الأخيرة علي حماية حقوق الشعب فهي تعمل لصالح العامة، وهي ليست إرادة أفراد معينين بل هي إرادة الشعب ككل، لأن في رأي روسو أن الشعب قد يخطئ لكن الإرادة العامة معصومة من الخطأ.

العقد عند روسو هو التزام جماعي تم الاتفاق عليه بواسطة الاتفاق وليس بالقوة، ذلك لأن روسو يري أنه لا يوجد قانون للأقوياء في المجتمع لكن يوجد قانون يجعل جميع الناس متساوون وبموجب هذا القانون يتنازل الناس عن حرياتهم مقابل أن يقوم القانون بحمايتهم وإذ لم توجد سلطة عليا تضمن وفاء المتعاقدين فإن الإنسان المتعاقد يبقى صاحب الحل والتعاقد.

ويعتبر روسو من الفلاسفة الذين تغنوا بالإنسان الطبيعي وقام بتصويره علي أنه إنسان سعيد لا يعرف القيود أو الحواجز ويتصرف بحرية تامة ، وتكمن هذه الصورة في الحالة الطبيعية التي تحدث عنها روسو والتي تعتبر عنصر من أهم عناصر نظريته السياسية حيث قام بجعل حياة الطبيعية هي أساس وركيزة لإصلاح المجتمع المدني، فهو حتى وإن قدم روسو نظرية مرابطة ومنتاسقة حول الأفراد الطبيعيين وفكرة العقد إلا أن الكثيرون يرون أن جون جاك روسو لم يقدم إلا جملة من الاقتراحات والافتراضات الخيالية البعيدة عن الواقع، إضافة إلي تلك الانتقادات الموجه إلي نظرية العقد الاجتماعي هي فكرة خيالية لا تجد لها سندا في الواقع أو التاريخ فهي خاطئة علميا، فالتاريخ لا يؤيد فكرة العقد الاجتماعي، ولا يوجد في تاريخ مثال لدولة نشأت عن طريق العقد حيث تقوم النظرية علي افتراض وهمي خاطئ، فحواه أن الفرد

كان في عزلة قبل قيام أي جماعة، إضافة إلي أن من الصعب تصور عقد يمضيه أفرد عند نشوء الجماعة البشرية، ويضل إلي الأبد مؤثرا علي الإنسانية كافة وملزما إياها مهما تعاقبت الأجيال، و إلا أن التناقض الذي تقع فيه هذه النظرية نتيجة عدم إمكان الحصول علي رضا جميع الأفراد بينما يكمن عنصر الرضا في الإيجابيات والمزايا هذه النظرية حيث قامت هذه الأخيرة علي أسس فلسفية وعلي الرغم من أن منتقديها يرون أنها فكرة خيالية إلا أن هناك من يذكر أمثلة واقعية لمجتمعات قامت في القديم علي أساس العقد الاجتماعي مثل ما قيل به في الفقه الإسلامي من أن الخلافة عقد حقيقي يعني اختيار من الأمة ووسيلته البيعة الصحيحة القائمة علي الرضا، وتوجد وقائع كثيرة في التاريخ تؤكد أن أفكار الفيلسوف جون جاك روسو في نظرية العقد الاجتماعي كانت هي المحرك الأول للثورة الفرنسية، فعندما اختلف ممثلو العامة مع النبلاء ورجال الدين علي كيفية أخذ الأصوات والجلوس معا في قاعة واحدة أو قاعات مختلفة وعدم رضا الطوائف الأخرى بالجلوس مع العامة أطلق العامة علي أنفسهم " الجمعية الوطنية " وقرروا أنهم مكلفون بالتعبير عن الإرادة العامة للأمة . وأن عليهم أن يبدؤوا بصفتهم نواب الشعب الحقيقيين في وضع لدستور بلادهم تصان فيه حقوق الشعب سواء اشترك معهم بقية المندوبين أن لا .

في الأخير نخلص إلا أن بطبيعة الحال أن لا يمكن لكل النظريات في الفلسفة وغيرها أن تتوقف علي حد معين، فالدراسات تبقي مستمرة وفي تطور ما دام المجتمع في تطور مستمر ودائم ، كذلك كانت نظرية العقد الاجتماعي بصفة عامة وعند روسو بصفة خاصة التي تمتد من عصر إلي عصر ومن فيلسوف إلي آخر، حيث تأرجحت هذه النظرية بين القبول والرفض والتغير حيث بعد سنين نجد التغيير في المناطق العربية فقد رأي العديد من الباحثين أن الثورات العربية هي " إعلان عن سقوط العقد الاجتماعي الذي كان قائما بين المواطنين ودولهم نتيجة تراجع الأخيرة في الوفاء بالتزاماتها الاقتصادية وال اجتماعية نحو مواطنيها والتضييق عليهم في

الحقوق المدنية والسياسية<sup>1</sup> "معتبرين أن الثورات العربية تهدف إلى التأسيس لعقد اجتماعي" جديد يعبر عن مطالب الشعب المحقة وتطلعاته " ففي تونس تم إقرار العقد الاجتماعي وهو الأول من نوعه في المنطقة العربية من قبل المجلس الوطني التأسيسي في يناير 2013، وفي الفترة نفسها تم تأسيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري و البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة " بناء علي توصيات تقرير التنمية البشرية لمصر، وذلك لتقديم الدعم الفني لجهود التنمية البشرية في مصر من مدخل حقوقي تنموي يستند إلي مبادئ الحكم الرشيد و مفهوم المواطنة، ويهتم المركز برصد ومتابعة جهود الحد من الفقر وتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية وبناء توافق وطني حول مفهوم العقد الاجتماعي و الآثار المترتبة عليه وإعادة بناء الثقة بين الحكومة والمواطنين.."<sup>2</sup> كما تناولت بعض مؤسسات المعارضة السورية فكرة صياغة عقد اجتماعي يحسم النقاط الخلافية حول العلاقة بين السلطة والمجتمع دون التوصل إلي مسودات فعلية يمكن الاستناد عليها. وترتكز وثائق العقد الاجتماعي المعاصرة على مفاهيم متعددة تضبط العلاقة بين الفرد والدولة، أبرزها: تخفيض الفقر، وتحقيق المشاركة الشعبية في الحكم بحيث يتمكن المواطنون من امتلاك المرافق والخدمات العامة وإدارتها، مما يتطلب التركيز علي مفاهيم المواطنة، وتداول السلطة ومواكبة المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بالتنمية الشاملة.

وفي الأخير نطرح إشكالية تقول هل سنري بداية نظرية عقد جديدة عند العرب؟ وهل هذه النظرية ستتأثر بالمجتمع الغربي كما تأثر بها المجتمعات العربية قبل سنين؟

<sup>1</sup> \_ سعيد، عبد المنعم، العقد الاجتماعي بمرحلة ما بعد البعث، مجلة شبابي الفكر، العدد 351، ص 14

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص15.



قائمة المصادر

والمراجع

❖ القرآن الكريم

أ : قائمة المصادر

1. روسو جون جاك، إميل، تر عادل زعيتر، دار المعارف، ط1، 1936، القاهرة.
2. روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر بولس غانم، د ط، موفم للنشر والتوزيع، 1991، الجزائر
3. روسو، جون جاك، أصل التفاوت بين الناس، تر عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، 2012، القاهرة.
4. روسو، جون جاك، في العقد الاجتماعي ومبادئ القانون السياسي، تر عبد العزيز لبيب، د ط، مركز الدراسات العربية، 2011، بيروت.
5. روسو، جون جاك، العقد الاجتماعي، تر ذوقان قرقوط، دار القلم للنشر، بيروت.
6. روسو، جون جاك، دين فطرة، تر عبد الله العروى ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط1، 2012 بيروت لبنان.
7. روسو، جون جاك، مقالات في العلوم والفنون، تر جلال الدين سعيد، مكتبة الفكر الجديد، ط2، 2017، تونس.

ب \_ قائمة المراجع

1. أفلاطون، الجمهورية، تر فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1980، القاهرة، مصر.
2. أفلاطون، الجمهورية، تر أميرة حلمي مطر، مطابع الهيئة المصرية للنشر، د ط ، 1994 مصر.
3. الميناوي، أحمد، جمهورية أفلاطون، دار الكتاب العربي، ط 1، 2010، دمشق، سوريا.

4. النشار، مصطفى تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار القباء للنشر والتوزيع، د ط القاهرة، مصر، 2000.
5. أرسطو، السياسية، تر الأب أوغسطين وبرابرة البوليسي، اللجنة اللبنانية لتر الروائع، ط 2، 1969، بيروت لبنان.
6. النقايطي، حاتم، مفهوم المدينة في الكتاب السياسية لأرسطو، دار الحوار والنشر والتوزيع، د ط، اللاذقية، سوريا، 1995.
7. الفارابي، أبو نصر، أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق لنشر، ط 2، 2000، بيروت، لبنان.
8. الفارابي، أبو نصر، سياسة المدينة، دار أحمد المكان أباد، د ط، 1364.
9. المستكاوي، نجيب، روسو حياته و مؤلفاته و غرامياته، دار الشروق للنشر، القاهرة ، ط 1، 1998، القاهرة.
10. إميل بريه، تاريخ الفلسفة ، تر جورج أطرابيشي، دار الطليعة لنشر و التوزيع، ط 2، 1993، بيروت.
11. إمام ، عبد الفتاح إمام ، الأخلاق و السياسة ، مجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط، 2001.
12. بسيوني، رسلان صلاح الدين، الفكر السياسي عند الماوردي ، دار الثقافة لنشر والتوزيع د ط، 2012. القاهرة، مصر.
13. برتراند، راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر محمد فتحي الشينيبي، المصرية الحمامة للكتاب، ط 3، مصر.
14. بشير، زكريا غمام، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار السودانية للنشر، ط 1، 1996، الخرطوم، السودان.

15. بيشوب ، موريس ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر علي السيد ،المجلس الأعلى للنشر ، ط1، 2005.
16. حلمي مطر، أميرة، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلي ماركس، كلية الأدب للنشر، ط5، القاهرة، 1995.
17. توشار، جون، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلي العصر الوسيط، تر ناجي الدراوشة، ط 1، 2010.
18. حلمي مطر، أميرة، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار القباء للنشر والتوزيع، ط1، 1998، القاهرة.
19. شتراوس، ليو، تاريخ الفلسفة من جون لوك إلي هايدغر، تر محمود سيد أحمد، المجلس للأعلى للثقافة، د ط، 2005.
20. دوى، جون، الديمقراطية والتربية، تر عفراوى منى، مطبعة لجنة التأليف والتر، ط 2، القاهرة، 1954.
21. ديوي، جون، المدرسة والمجتمع، تر، أحمد حسن الوحيد، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، 1987
22. عبد الطيف، كمال، العرب في زمن المراجعات الكبرى، محاولات في تعقل تحولات الراهن العربي، المركز العربي للأبحاث، د ط .
23. زروخي، إسماعيل، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، د ط، 2011.
24. صقر، سيد أحمد مصطفى، نظرية الدولة عند الفارابي، مكتبة الجلاء الجديدة للنشر، د ط، القاهرة ، 1989.

25. صقر، سيد أحمد مصطفى، فلسفة العدالة عند الإغريق، مكتبة الجلاء الجديدة للنشر، د ط، 1998.
26. شريف، محمد أحمد، فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين، دار الرشيد، ط1، 1980، العراق.
27. عدنان، محمد عبد الله، مذاهب الاجتماعية الحديثة، مطبعة لجنة تأليف و تر والنشر، ط4، 1959، القاهرة .
28. عبد الدايم، عبد الله، التربية عبر التاريخ عند جون ديوى ، دار العلم للملايين، ط5 ، 1984 ، بيروت لبنان.
29. إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د ط، 2001
30. غوستاف، لورين، تر عادل زعيتر، روح الثورات والثورة الفرنسية، كلمات عربية للنشر والتوزيع، د ط، 2012، القاهرة، مصر.
31. فضل الله، محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر الغربي، بستان المعرفة للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر
32. قديل، أماني، الموسوعة العربية للمجتمع المدني، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 2008، القاهرة.
33. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، الهداوي للنشر، د ط، 2012، القاهرة، مصر
34. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف للنشر والتوزيع، د ط ، القاهرة، مصر.
35. كبار، نزيه ، المسرح في لبنان حتي نهاية القرن العشرين ، منشورات جروس برس، ط1، 1998.

36. لوك، جون، مقالاتان في الحكم المدني، تر ماجد فخري، اللجنة الدورية للتر الروائع، د ط، 1995، لبنان

37. مهدي محمد حسن، المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها، دار الكتاب لنشر والتوزيع، ط 1، 2014، القاهرة.

38. حمود زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والتر والنشر د ط، 1926، القاهرة

39. وهبان، أحمد، الماوردي رائد الفكر الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، د ط، 2001 الإسكندرية، مصر.

40. شبل، بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل ما قبل المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، ط 2، 2002، القاهرة.

#### قائمة المذكرات ورسائل التخرج :

1. بوصرار، نجمة، الثقافة ومشكلة الطبيعة الإنسانية في فلسفة جون جاك روسو وسيغموند فرويد نموذجان، جامعة محمد بن أحمد، كلية العلوم الاجتماعية، وهران، 2017، 2018.

2. شبايبي، ياسين، الفكر السياسي في العصر الوسيط، جامعة ابي بكر بالقائد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، 2017، 2018.

3. عوض، بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية جامعة عين شمس، قسم الفلسفة كلية الآداب، القاهرة، مصر، 2016، 2017.

#### قائمة المجالات باللغة العربية

1. عبد الجاسم، منتهي، فلسفة التربية عند جون دوي، مجلة الحوار المتمدين، العدد 3369، 2011.
  2. صادقي، رحمة، نمو المفاهيم لدي الطفل حسب نظرية بياجيه، المركز الجامعي تمارست، عدد 12، 2014.
  3. حسن قدرة، عبد العال، تأثير روسو علي فرح أنطون، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، مجلد 10، 2002.
  4. عبد اللطيف، كمال، لماذا ترجم عبد الله العروي نص دين فطرة؟، مجلة تبيان، العدد 1، دار تبيان للنشر
  5. زهير عمران، عدنان ملحم، تطور الفكر السياسي عند قدامي اليونانيين حتى أفلاطون، ضمن مجلة تشرين، العدد 2014، 5
  6. عبد المجيد، مكي، العقد الاجتماعي أسس النظرية وأبرز المؤسسين، مجلة أهل البيت، العدد 1.
  7. أبو زيد، سمير، فلاسفة العرب، مجلة مستقبل العربي، العدد 147.
  8. سعيد، عبد المنعم، العقد الاجتماعي بمرحلة ما بعد البعث، مجلة شبابي الفكر، العدد 351
  9. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، جز 1. د.ط، 1982 بيروت
  10. لالاند، ندري، موسوعة أندري لالاند الفلسفية تعريب خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1، منشورات بيروت، ط2، 2001 باريس
  11. جورج طاربيشي، جز:5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993.
- المواقع الإلكترونية  
أسعد صقر الأرستقراطية، الموسوعة العربية، 2013\_07\_13، [www//maarif.com](http://www.maarif.com)

# فهرس الموضوعات



## الفهرس

الصفحة	العنوان
	الشكر
أ-ح	المقدمة
8	الفصل الأول: المرجعية الفكرية والتاريخية لنظرية العقد الاجتماعي
8	المبحث الأول: التأصيل التاريخي لفكرة العقد الاجتماعي عند اليونان
8	المطلب الأول: الفلسفة السياسية عند المدرسة السفسطائية
11	المطلب الثاني: فلسفة السياسة عند أفلاطون
17	المطلب الثالث: الفلسفة السياسة عند أرسطو
22	المبحث الثاني: فلسفة العقد الاجتماعي في الأطروحات الإسلامية
22	المطلب الأول: الفلسفة السياسية عند الفارابي
26	المطلب الثاني: الفلسفة السياسية عند ماوردي
30	المبحث الثالث: رواد العقد الاجتماعي
30	المطلب الأول: الفيلسوف توماس هوبز
34	المطلب الثاني: الفيلسوف جون لوك
40	الفصل الثاني: الفكر السياسي عند جون جاك روسو
40	المبحث الأول: الثورة الفرنسية وتأثير روسو فيها
40	المطلب الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية في فرنسا
43	المطلب الثاني: تأثير روسو في الثورة الفرنسية
46	المبحث الثاني: البناء السياسي عند روسو
46	المطلب الأول: فلسفة العقد الاجتماعي عند روسو
60	المطلب الثاني: أصل التفاوت بين الناس عند جون جاك روسو
63	المبحث الثالث: الدولة عند جون جاك روسو
63	المطلب الأول: أنظمة الحكم ورأي روسو فيها

## الفهرس

67	المطلب الثاني: علاقة الدين بالدولة " دولة مدنية "
70	الفصل الثالث: الفلسفة الإنسانية عند جون جاك روسو
70	المبحث الأول: تأثير فلسفة على المفكرين الغرب
70	المطلب الأول: تأثيره على فكر جون دوي
74	المطلب الثاني: تأثيره في فكر جان بياجيه
76	المبحث الثاني: تأثير فلسفة روسو على المفكرين العرب
76	المطلب الأول: تأثيره على المفكر فرح أنطون
81	المطلب الثاني: تأثيره على المفكر عبد الله العروي
87	خاتمة
91	قائمة المصادر والمراجع
98	الفهرس